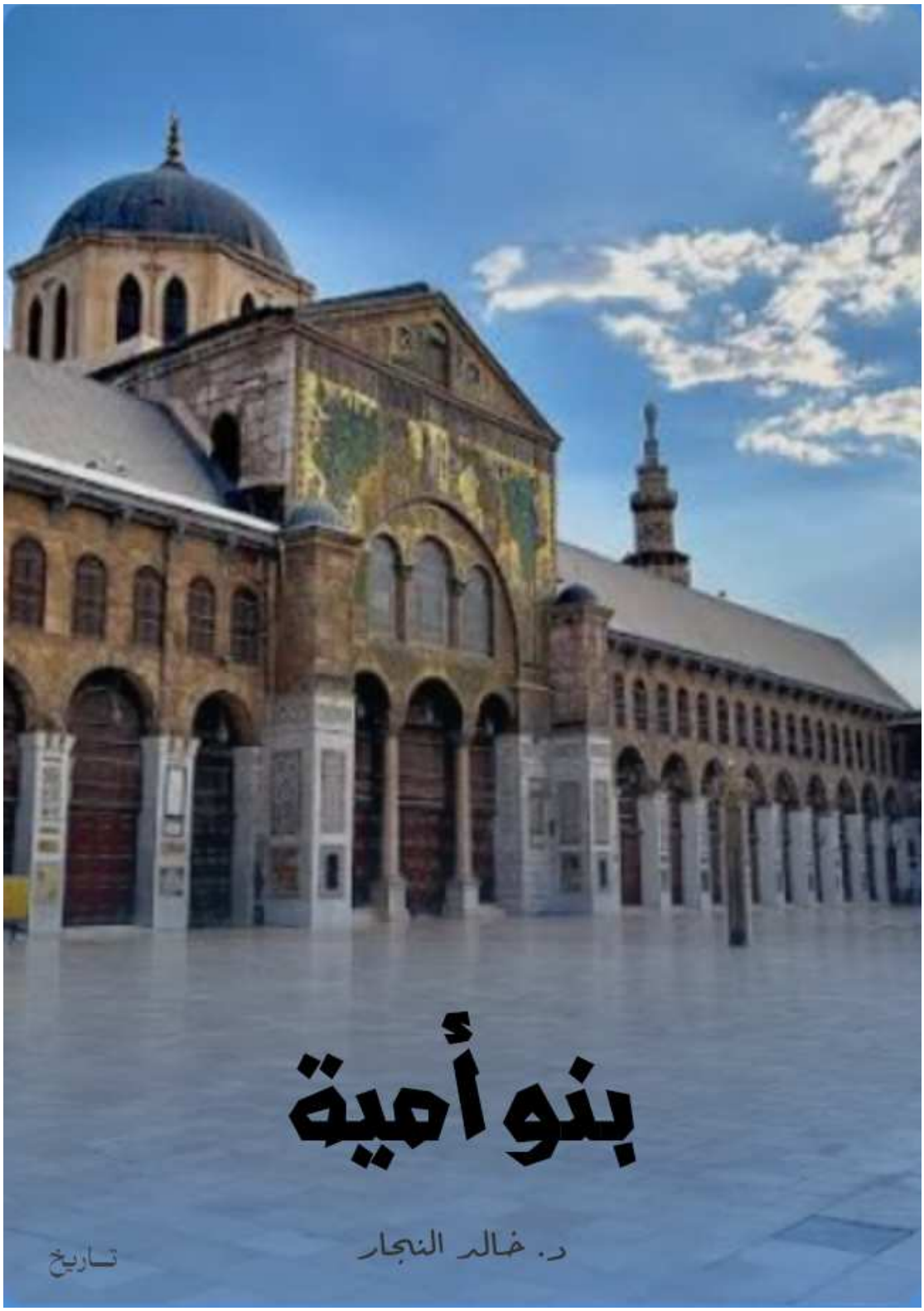

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بنو أمية

الحمد لله حمدا يرضيه، والصلاة والسلام على من اجتمعت المحاسن فيه، سيدنا محمد –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أما بعد

فلا غرو أن المكتبة العربية والإسلامية عامرة بالعديد والعديد من الكتب والبحوث التي تناولت تاريخ بني أمية بما له وما عليه، وتنوعت الكتابات بين المنصف والجافي، خاصة من لدن الشيعة الذي كالوا لهم من التهم والافتراءات ما لا يجهله متابع، ولقد كتبت مجموعة من المقالات مستقاة من مؤلفات خيرة كتابنا في هذا الشأن، ونشرت هذه المقالات في مختلف المواقع الإسلامية التي أكتب فيها ثم رأيت مؤخرا أن أجمعها في هذا الكتاب الخفيف والبسيط في عدد صفحاته لكنه يسلط الضوء –وبعمق فريد– على جوانب هذه الحقبة، وزيلته ببعض المقالات عن الصحابي الجليل عمرو بن العاص الذي كان وثيق الصلة بسيدنا معاوية رضي الله عنهم أجمعين، ثم ختاما بسيرة الحجاج كي تكتمل الفائدة.

هذا وقد كان هذا الكتاب الموجز مما يناسب الكثير من الشباب الذين يبحثون عن الخلاصة في المواضيع المختلفة، وغيرهم ممن يملون من البحوث المطولة، سائلا المولى تعالى أن يقع موقع القبول عند الله عز وجل ثم عند القارئ وأن يجعله منارة مضيئة في تاريخنا المجيد وعملا مدخرا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

وكتبه

د/ خالد سعد النجار

طنطا – مصر

alnaggar66@hotmail.com

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عتبة بن ربيعة

** هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهليَّة، وجيه من وجهاء مكة، ومن حكماء قريش وزعمائها، كان معظما في قومه، نافذ القول، خطيبًا مفوها، موصوفًا بالرأي والفضل والحلم، كان لقبه «العدل» لأنه يعدل كل حلم قريش. وهو جد معاوية بن أبي سفيان –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– لأمه

** كان يُقال: لم يسد من قريش مملق إلا عتبة وأبو طالب؛ فإنَّهما سادا قريشًا بغير مال. وعندما تزوج أبو سفيان ابنته هند بنت عتبة بن ربيعة، بعث عتبة بابنه الوليد إلى بني أبي الحقيق، فاستعار منهم الحلي، ورهن الوليد نفسه عند نفرٍ من بني عبد شمس، وذهب بالحلي ثمّ فكّوه وردّوه إلى أهله في مكّة المكرّمة.

** ولد عتبة في مكة قبل عام الفيل بثلاث سنوات، ونشأ بمكة يتيمًا في حجر حرب بن أميَّة، وتعلَّم القراءة والكتابة والأنساب وأخبار العرب وتاريخ قريش على يد أفضل المعلمين في تهامة، كما تعلَّم الفروسيَّة وفنون المبارزة، وكان في طليعة الفرسان في حرب الفجار، وخاض فيها المعركتين الأخيرتين.

** وأوَّل ما عُرِفَ عنه توسُّطه للصلح في حرب الفجار (بين هوازن وكنانة) وقد رضي الفريقان بحكمه، وانتهت الحرب على يديه.

** وكان عتبة بن ربيعة صديقاً للصحابي سعد بن معاذ –رضي الله عنه– فكان عتبة عندما يذهب إلى يثرب ينزل ضيفاً عند الصحابي سعد بن معاذ –رضي الله عنه– وكان سعد عندما يذهب إلى مكّة، ينزل ضيفاً عند عتبة.

** أدرك الإسلام وطغى وتكبر عن الدخول فيه، وشهد بدرًا مع المشركين. وكان عتبة يتميَّز بطول القامة وقوَّة البنية، ضخم الجثة، عظيم الهامة، طلب خوذة يلبسها يوم "بدر" فلم يجد ما يسع هامته، فاعتجر على رأسه بثوبٍ له، وقاتل قتالًا شديدًا، فأحاط به علي بن أبي طالب وحمزة وعبيدة بن الحارث وقتلوه.

** روي عن أميه بن الصلت الثقفي قال لأبي سفيان: إني لأجد في الكتب صفه نبي يبعث في بلادنا، وكنت أظن أني هو، وكنت أتحدث بذلك، ثم ظهر لي أنه من بني

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عبد مناف، فنظرت فلم أجد إلا عتبه بن ربيعه إلا وقد تجاوز الأربعين ولم يوح إليه، فعرفت أنه غيره.

قال أبو سفيان: فلما بعث محمد –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فقلت لأميه. فقال: أما إنه حق فاتبعه. فقال: وما يمنعك أنت؟ قال الحياء من نساء ثقيف أني كنت أخبرهن أني هو ثم أصير تبعا لفتي من بني عبد مناف.

** قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف:٣١] قيل: هو عتبة بن ربيعة، وكان يلقب بريحانة قبيلة قريش. وقيل: الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف.

** ومن حماقات عتبة موقفه مع أبي بكر الصديق وكان –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أول خطيب دعا إلى الله عز وجل وإلى رسوله، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين يضربونهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطئ أبو بكر، وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبه بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مَخْصُوفَيْنِ [خَصْف النعل، خَرْزُه، من الخَصْف: الضم والجمع]، ويحرفهما لوجهه، ثم نزا على بطن أبي بكر، وأثر على وجه حتى ما يعرف أنفه من وجهه، وجاءت بنو تيم تتعادى فأجلوا المشركين وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

** وعتبة بن ربيعة هو الذي أوفدته قريش لمفاوضة النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بمكة، فإن كفار قريش لما أكربهم أمر رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وغاظهم شأنه تشاوروا في أمره، فقال لهم عتبة: يا معشر قريش ألا أقوم لمحمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا، وذلك لما لم يقدروا أن يصلوا إليه بمكروه، فقالوا له: بلى. فقام إليه عتبة

[وفي رواية الإمام عبد بن حميد في (مسنده) بسنده عن جابر بن عبد الله –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قال: اجتمعت قريش يوما فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فأتاه عتبة فقال له]:

"يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم؛ فاسمع مني أعرض عليك أمورا، تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها. فقال له: قل يا أبا الوليد أسمع، قال: يا ابن أخي: إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا؛ وإن كنت تريد به شرفا، سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا، ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع علي الرجل حتى يداوي منه.

حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يستمع منه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم قال:

فاستمع مني، فقال: أفعل.

فقال: {حم. تَنزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ. الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ..}.

فمضى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقرأها عليه فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منه.

فلما وصل إلي قوله تعالي: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت:١٣] أمسك عتبة علي فمه وناشده الرحم أن يكف.

ثم عاد إلى قريش قائلا: والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.. قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم.

** وبعد إعراض ثقيف بالطائف عن دعوة النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قفل الرسول –عليه الصلاة والسلام– عائداً إلى مكة، إلى البلد الذي لفظ خيرة أهله، فهاجر بعضهم إلى الحبشة، وأكره الباقي على معاناة العذاب الواصب، أو الفرار إلى شعب الجبال.

وقال زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فَرَجاً.

ولابد أن أخبار ثقيف قد سبقته إلى قريش، ومن ثَمّ رأى رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ألا يدخل مكة حتى يستوثق لنفسه ودعوته. فبعث إلى "المطعم بن عدي" يعرض عليه أن يجيره حتى يبلغ رسالة ربه! فقبل "المطعم" واستنهض أبناءه فحملوا أسلحتهم ووقفوا عند أركان البيت الحرام، وتسنَّم "المطعم" ناقته ثم نادى: يا معشر قريش ، قد أجرت محمداً، فلا يَهْجِه أحد منكم! فلما انتهى رسول الله –صلَّى الله عليه وسلم– إلى الكعبة صلى ركعتين ثم انصرف إلى بيته، و"مطعم" وأهله يحرسونه بأسلحتهم...

وقيل: إن أبا جهل سأل مطعماً: أمجير أم متابع [أي مسلم]؟ قال: بل مجيرٌ. قال: قد أجرنا من أجرت....!

وحفظ رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– للمطعم هذا الصنيع. فقال يوم أسرى بدر: (لو كان المطعم حياً لتركت له هؤلاء النَّتنى).

كان المطعم –كأبي طالب– على دين أجداده، وكان كذلك مثله في المروءة والنجدة.

وقد أراد أبو جهل أن يتهكم بنبي يحتاج إلى جوار، وكأنه يتساءل: لِم لم تنزل كوكبة من الملائكة لحفظه؟.

ولذلك قال –لما رآه–: هذا نبيكم يا بني عبد مناف؟

فرد عليه عتبة بن ربيعة: وما ينكر أن يكون منا نبي وملك؟

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فلما أخبر رسول الله بسؤال أبي جهل ورد عتبة قال:
أما أنت يا عتبة فما حميت لله، وإنما حميت لنفسك [وذلك أنه قالها عصبية لا إيماناً-.
وأما أنت يا أبا جهل فوالله لا يأتي عليك غير بعيد حتى تضحك قليلاً وتبكي كثيراً.
وأما أنتم يا معشر قريش فوالله لا يأتي عليكم غير كثير حتى تدخلوا فيما تنكرون.
** وأخرج ابن مردويه في كتاب التفسير وأبو يعلى الموصلي في مسنده أن عتبة بن ربيعة قال لقريش وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب.
** في غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة عندما تجمّع الفريقان للقتال، رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- رجلاً من المشركين على جملٍ أحمر يسير في قومه، فسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- الصحابي حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- وكان قريباً من المشركين، عن صاحب الجمل الأحمر، فأجاب حمزة بأنّه عتبة بن ربيعة، وكان ينهاهم عن القتال.
** وفي بداية غزوة بدر بدأ القتال بمبارزات فردية حيث تقدم عتبة بن ربيعة وابنه الوليد وأخوه شيبة طالبين المبارزة، فانتدب لهم شباب من الأنصار فرفضوا مبارزتهم وطلبوا مبارزة بني قومهم، فأمر الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حمزة وعلياً وعبيدة بن الحارث بمبارزتهم، وكان أصغر المسلمين علي، وأصغر المشركين الوليد بن عتبة، وتمكن حمزة من قتل عتبة ثم قتل عليّ شيبة، وأما عبيدة فقد تصدى للوليد وجرح كل منهما الآخر، فعاونه حمزة وعلي فقتلوا الوليد واحتملا عبيدة إلى معسكر المسلمين.
** وفي رواية: خرج الصحابي عبيدة بن الحارث -رضي الله عنه- إلى عتبة بن ربيعة لقتاله، والصحابي علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- إلى الوليد بن عتبة، والصحابي حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- إلى شيبة بن ربيعة، وتجادلوا وتضاربوا، فأمّا علي وجعفر؛ فقد قتلا كلاً من الوليد وشيبة. وكان عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب -رضي الله عنه- أكبر القوم؛ فكلّ واحدٍ من الحارث وعتبة بن ربيعة ضرب ضربتين ثمّ جاء الصحابيان علي وحمزة إلى عتبة بن ربيعة وأجهزا عليه وقتلاه.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** وروى: الإمام أحمد، ومسلم؛ عن أنس –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أن رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيفوا، ثم أتاهم، فقام عليهم، فقال: "يا أمية بن خلف! يا أبا جهل بن هشام! يا عتبة بن ربيعة! يا شيبة بن ربيعة! هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؛ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا".

** وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لما أقبلت قريش ومعه أصحابه أخبر أصحابه بمصارعهم، وقال: (هذا مصرع عتبة بن ربيعة وهذا مصرع شيبة بن ربيعة وهذا مصرع أمية بن خلف وهذا مصرع أبي جهل بن هشام).

** ومن أبناء عتبة الذين أسلموا أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وهو من السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة، وإلى المدينة. وكان من فضلاء الصحابة، جمع الله له الشرف والفضل.

كان إسلامه قبل دخول رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، دار الأرقم. ولما هاجر إلى الحبشة عاد منها إلى مكة، فأقام مع رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حتى هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وقتل يوم اليمامة شهيداً، ولقب بالشهيد ذو الابتسامة، وهو مولى سالم الذي أرضعته زوجته سهلة كبيراً، وكان سالم أيضاً من سادات المسلمين.

** تزوج عتبة ثلاث مرات ولم يجمع بين زوجاته، وباقي أبناء عتبه غير أبي حذيفة: الوليد وهو ما يُكنَّى به، وقد قُتِل مشركًا معه في بدر، وبقيَّة أبنائه من الصحابة الكرام، وهم: أبو هاشم [أسلم يوم فتح مكة، وكان زاهدا بعيدا عن ملذات الدنيا، راويا لأحاديث النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ومات في خلافة معاوية] وأم أبان [زوجة طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة] وهند [زوجة أبي سفيان وأم معاوية –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– شاركت في معركة اليرموك] وفاطمة [زوجة عقيل بن أبي طالب ابن عم النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– واشتهرت بفصاحتها ومالها الكثير]، وقد أسلموا بعد فتح مكة رضوان الله عليهم.

** لقد وهب الله عزَّ وجلَّ عتبة بن ربيعة عقلًا راجحًا يستطيع أن يُميِّز به بين الحقِّ والباطل، ووهبه لسانًا بليغًا يستطيع أن يُحاور به ويُناور، ووهبه مكانة تجعل الناس

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يسمعون رأيه، ويَتَّبعون فكره؛ لكنه للأسف الشديد كان مصابًا بداء خطير نسف كلَّ إمكانيَّاته، وحطَّم كلَّ مواهبه، ألا وهو داء «الإمعية»!!

لقد ضعفت شخصيَّة عتبة حتى صار يسير بلا إرادةٍ وراء زعماء آخرين لعلَّهم أقلُّ حكمةٍ منه؛ ولكنَّهم أقوى شخصيَّةً؛ وذلك بصرف النظر عن مسألة الحقِّ والباطل؛ فقد أدرك عتبة حقَّ الإسلام؛ ولكنَّه سار مع باطل مكة، وفَهِمَ معجزة القرآن؛ لكنَّه اتَّبَع تفاهات زعماء قريش، ثُمَّ أطلقها صريحةً واضحةً: "خَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَرَبِ"! ... إنَّه يُريد أن ينتظر المعركة بين المسلمين والعرب، فإذا انتصر المسلمون فهو معهم، وإذا انتصر العرب فلا ضير، فسيكون معهم كذلك! وظلَّت فيه هذه الصفة الذميمة إلى آخر أيَّام عمره؛ حيث كان يَنْهَى الجيشَ المكي عن حرب المسلمين في بدر، وقد أدرك بحكمته ورجاحة عقله أنَّ المعركة خاسرة؛ لكنَّه في النهاية اتَّبَع الجموع، وأعرض عن الحقِّ، وكانت النتيجة أن قُتل كافرًا في أُولى لحظات المعركة.

وقد أوضحت رواية البيهقي موقفًا مخزيًا لعتبة حين جاءه أبو جهل يَتَّهمه بترك الوثنيَّة للإسلام، فإذا بعتبة يشرح له بالتفصيل روعة القرآن، وقوَّة حجَّة رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، ويُؤَكِّد صدقه التامِّ؛ بل يُبدي رعبه من نزول الصاعقة التي حذَّرهم منها محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد كلِّ هذا رأيناه يُقْسِم بالله! على أيِّ شيء أَقْسَمَ؟! لقد أقسم ألَّا يُكَلِّم محمدًا أبدًا!!

أَبَعْدَ كلِّ هذا اليقين في صدق الرسول –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يكون البُعد عنه؟ ولماذا؟ هل لأنَّ الجموع الكافرة آنذاك أكثر من المسلمين؟ وهل عندما يكثر المسلمون ستترك الوثنيَّة إليهم؟

أيُّ حماقةٍ تلك التي يعيشها هؤلاء الناس!

وكأنَّ رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كان يتحدَّث عن عتبة بن ربيعة وأمثاله حين قال: (لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا) [الترمذي صحيح موقوفا عن ابن مسعود]. وعندما سُئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الإمَّعة قال: «يَجْرِي مَعَ كُلِّ رِيحٍ»

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فلْيَحْذَرْ كلُّ عاقل من هذه الخواتيم التعسة؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ وهب الإنسان عقلًا، وهو سائله عنه، وقد يبتليه بتكثير جموع أهل الباطل، فلا يَصُدَّنَّه ذلك عن الحقِّ أبدًا.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

هند بنت عتبة

** أم الصحابي الجليل وأمير المؤمنين: معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

** كانت من عقلاء النساء، وكانت قبل أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة المخزومي، وكان الفاكه من فتيان قريش وفصحائها، وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير إذن. فحدث ذات يوم أن البيت خلا من الناس واضطجع فيه هو وهند، ثم نهض لحاجة فأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فدخله. فلما رأى هندا رجع هاربا، فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها: من هذا الذي خرج من عندك؟ قالت: ما رأيت أحدا قط وما انتبهت حتى أنبهتني، قال: فارجعي إلى بيت أبيك وتكلم الناس فيها.

فقال أبوها: يا بنية إن الناس قد أكثروا فيك الكلام، فإن يكن الرجل صادقا دسيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس، وإن يك كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن.

فقالت له: لا والله ما هو علي بصادق.

فقال له: يا فاكه إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني إلى بعض كهان اليمن.

فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم، وخرج أبوها في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة.

فلما شارفوا البلاد قالوا: غدا نرد على هذا الرجل، فتغيرت حالة هند، فقال لها أبوها: إني أرى حالك قد تغير وما هذا إلا لمكروه عندك.

فقالت: لا والله، ولكن أعرف أنكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يصفني بوصف تكون عليّ سبّة.

فقال لها: لا تخشي فسوف أختبره، فصفّر لفرسه حتى أدلى ثم أدخل حبة بر في إحليله وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم، ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة: قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها.

قال: خبأتم لي ثمرة في كَمرة.

قال: إني أريد أبين من هذا.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

قال: حبة بر في إحليل مهر.

قال: فانظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يأتي إلى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها: انهضي. فلماء جاء دور هند قال: انهضي غير متهمة بشيء وستلدين ملكا اسمه معاوية.

وعندما تبين براءتها نهض إليها الفاكه فأخذ بيدها، فجذبت يدها من يده وقالت: إليك عني فو الله إني لأحرص أن يكون ذلك من غيرك، فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضي الله تعالى عنه.

** قالت هند بنت عتبة بن ربيعة لأبيها: يا أبت إني قد ملكت أمري، –وذلك حين فارقها الفاكة بن المغيرة– فلا تزوجني رجلا حتى تعرضه علي، قال: ذلك لك؛ فقال لها ذات يوم: يا بنية قد خطبك رجلان من قومك، ولست بمسم لك واحدا منهما حتى أصفه لك.

أما الأول: ففي الشرف الصميم، والحسب الكريم، تخالين به هوجا [متسرع] من غفلته، وذلك أسجاح [حسن العفو والسهولة] من شيمته، حسن الصحبة، سريع الإجابة، إن تابعتيه تابعك، وإن ملت به كان معك، تقضين عليه في ماله وتكتفين برأيك عن رأيه.

وأما الآخر: ففي الحسب والرأي الأريب بدر أرومته [أصله] وعز عشيرته، يؤدب أهله ولا يؤدبونه [قوي الشخصية يضبط أهله ويفرض عليهم وجوده]، إن اتبعوه أسهل بهم [إن أطاعوه أكرمهم ونمى فيهم جوانب القوة والمجد]، وإن جابوه توعر بهم [إن عصوه قسا عليهم]، شديد الغيرة، سريع الطيرة، صعب حجاب [الحاجز والمانع والساتر] القبة [حريص على ستر نسائه]، إن جاع فغير منزور [جوعه ليس عن فقر، بل عن اقتصاد وربما شح]، وإن نوزع فغير مقهور، قد بينت لك أمرهما كلاهما.

قالت له: أما الأول فسيد مضياع لكريمته، مؤات لها فيما عسى إن لم تُعتصم أن تلين بعد إبائها وتضيع تحت خبائها [الخيمة، والمقصود لا يثور لخطئها الذي يسيء سمعتها وسمعته]، وإن جاءت له بولد أحمقت، فإن أنجبت فعن خطاء ما أنجبت، اطو ذكر هذا عني، فلا تسمه لي.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وأما الآخر فبعل الحرة الكريمة، إني لأخلاق هذا لوامقة [محبة حبا شديدا]، وإني له لموافقة، وإني لآخذ بأدب البعل مع لزومي لقبتي وقلة تلفتي، وإن السليل بيني وبينه [الولد الذي ننجبه] لحري أن يكون المدافع عن حريم عشيرته، الذائد عن كتيبتها [القطعة العظيمة من الجيش]، المحامي عن حفيظتها، الزائن لأرومتها، غير مواكل [عاجز، معتمد على غيره] ولا زميل [الضعيف الجبان] عند ضعضعة الحوادث [وقوع المصائب] فمن هو؟ قال: ذلك أبو سفيان بن حرب بن أمية.

قالت: زوجني منه، ولا تلقني إليه إلقاء المستسلس السلس، ولا تسمه بي سوم [المجاذبة بين البائع والمشتري على الثمن] المواطس الضرس، واستخر الله في السماء يخر لك بعلمه في القضاء.

** ويبدو ذكاء هند الوقاد، وحصافة عقلها في حسن سبرها للرجال، وتقديرها لهم يوم خيرت بين الرجلين.

فالمرأة العادية ترى في النوع الأول من الرجال منيتها، فهو سمح لين جواد، حسن المعاملة لزوجته لدرجة الضعف والانقياد لها.

بينما تخشى المرأة العادية من النوع الثاني من الرجال، فهو قاس في معاملته، لا تستطيع أن تصل إلى مآربها لقوة شخصيته التي تقف سدا منيعا دون أهوائها وملذاتها، وتعاني من شدة غيرته وتطيره الأمرَّين في تأويل كل تصرف لها بسوء، وقمعها عن كل تحرك عادي يمكن أن يرى به خروجا عن الجادة.

أما المرأة الحصيفة التي يحركها المجد، وتستهويها السيادة فترفض ذلك المطواع لها زوجها، لأن الناس سيتندرون به في مجالسهم، وهي تقبل بسوط ذلك الوعر القاسي الذي يشهد له قومه بعزته ومنعته، وتقبل مراقبته لها حتى لو وجدت في ذلك عنتا ورهقا، طمعا في جانب آخر تعتز فيه، وهو أن يكون حاميا لنسائه، يذود عنهن بالدم والروح.

وكانت هند من الطراز الثاني من النساء، اللاتي يرين في حسن السمعة والأحدوثة وشرف المجد، ما يضحى بكل شيء في سبيلها.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** إن عمق تفكيرها وبعد نظرها ليبدو يوم تتخيل الولد الذي ستنجبه، فعن أولاد النمط الأول تقول: إن جاءت له بولد أحمقت، فإن أنجبت فعن خطاء ما أنجبت.

بينما تراها تقول في أولاد النمط الثاني: وإن السليل بيني وبينه [الولد الذي ننجبه] لحري أن يكون المدافع عن حريم عشيرته، الذائد عن كتيبتها [القطعة العظيمة من الجيش]، المحامي عن حفيظتها، الزائن لأرومتها، غير مواكل [عاجز، معتمد على غيره] ولا زميل [الضعيف الجبان] عند ضعضعة الحوادث [وقوع المصائب]

** ثم هي ترفض القبول السهل لأبي سفيان حتى لا يظن أنه نال فتاة عادية، ومن غير جهد، فلا يشعر بكرامتها على أبيها.

كما ترفض التعنت حتى لا ينصرف أبو سفيان عنها، وهي وامقة لخلاله، معجبة بخصاله، فقالت: ولا تلقني إليه إلقاء المستسلس السلس، ولا تسمه بي سوم [المجاذبة بين البائع والمشتري على الثمن] المواطس الضرس.

** غير أن ختام حديثها يعطينا جانبا جديدا من جوانب شخصيتها فهي تقول: "واستخر الله في السماء يخر لك بعلمه في القضاء" ومعنى الاستخارة في المفهوم الجاهلي هو الاستسقام بالأزلام، وهذا يعني أننا أمام سيدة عريقة في جاهليتها، محافظة على تقاليد دينها، وهذه التقاليد متغلغلة في أعماقها، وهذا ما يضيء لنا معالم الطريق الوعر العنيف الذي سارت به هند وأبو سفيان ضد الدعوة المحمدية الجديدة.

** إن هندا لم تصل إلى هذا المستوى من النضج إلا بعد أن عركتها السنون وحنكتها التجارب، إذ كانت زوجة للفاكهة بن المغيرة وقد طعنها في أعز ما تملكه، في عرضها وشرفها، واحتكموا إلى كاهن باليمن، فبرأ ساحتها من هذا الاتهام الظالم، وأبت بعدها أن تعود لزوجها الفاكهة، ومرت ثمان سنين بين زواجها من أبي سفيان وتزكها الفاكهة بن المغيرة.

** وحادثة كاهن اليمن الذي برأها زادت قناعات هند في دين قومها وتقاليدهم، فهي قد لمست في هذا الكاهن صدقا لا يعتريه الشك يوم كشف الخبء الذي خبأه له أبوها عتبة، ويوم برأها نظيفة طاهرة من بين العديد من النسوة اللاتي كانت بينهن.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** نحن إذن أمام امرأة متمسكة بدين قومها وتقاليدهم أشد التمسك، وعاشقة للشرف والشهرة أعظم العشق وأقواه. عكس أبي سفيان الذي يقل عنها تعصبا، فهو قد أمضى حياته في التجارة والسفر، والتقى مع عصارات الحضارات العالمية.

** وقال لها أحد المتفرسين من العرب يوما: إنني أتوسم في ابنك أن يسود قومه، قالت هند: ثكلته إن لم يسد إلا قومه. أي: فقدته إن لم يسد إلا قومه.

** وكان لهند في جاهليتها موقف مع زينب بنت رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فقد كانت بمكة مع زوجها أبي العاص بن الربيع، وأرسل النبيُّ –صلى الله عليه وآله وسلم– من يأتيه بها إلى المدينة، وكان ذلك بعد غزوة بدر ولم تجِفّ دماء قريش بعد، وكانت هند قد أصيبت بأبيها وأخيها وعمها، وكانت تطوف على مجالس قريش وأنديتها تُذكي نار الثأر، وتؤجج أوار الحرب.

وفي الطريق لقِيَتْ زينب بنت رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وكان قد تسرَّب خبر استعدادها للخروج لأبيها فقالت هند: «أي بنت محمد: بلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك!! .. أي ابنة عمي، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يعينك في سفرك، أو بمال تبلغين به إلي أبيك، فعندي حاجتك فلا تستحي مني، فإنه لا يدخل بين النساء ما يكون بين الرجال». تروي زينب – رضي الله عنها – ذلك، وتقول: «ووالله ما أراها قالت إلا لتفعل».

ثم يوم خروج زينب تعرض لها رجال من قريش، يريدون إرجاعها، فتسقط من على ناقتها وكانت حاملًا، فتنزف، وتسمع هند، فتخرج مسرعة، وتقول لقومها: «أين كانت شجاعتكم يوم بدر؟».

وتحُولُ بينهم وبين زينب وتضمها إليها وتمسح عنها ما بها، وتصلح شأنها، حتى استأنفت الخروج إلى أبيها في أمن وأمان.

** أظهرت هند بنت عتبة مروءتها مع زينب رضي الله عنها برغم بغضها الشديد للنبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وللمسلمين فلم تكن أسلمت بعد لكن لم يمنعها ذلك من إعانة الناس وقضاء حوائجهم.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وهذا يعطينا درساً أن الفطرة السليمة تدعو إلى الخير والفضيلة والتي تقود بدورها إلى معرفة الحق والإسلام كما تعلمنا مهما كانت درجة العداء بينك وبين الآخر فلا يمنع من مساعدة إن احتاج للمساعدة فالمبادئ والأخلاق لا تتجزأ وأن هناك أناس جبلوا على الأخلاق الحميدة فعندما يسلموا يوما ينطبق عليهم (خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام) وقد يهدى الله بك رجلا من مجرد موقف لبيت فيه نداءه وأجبت حاجته فكان سبباً في حبه للدين ودخوله الإسلام، فإذا كان أهل الجاهلية عرفوا المروءة فنحن أهل الإسلام أولى بها.

** لما التقى الناس في غزوة أُحد ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال، ويحرضن على القتال، فقالت هند فيما تقول:

إن تقبلوا نعانق *** ونفرش النمارق [المخدة والوسادة]

أو تدبروا نفارق *** فراق غير وامق [الوامق: المحب]

وبعد انتهاء المعركة جعلت هند بنت عتبة والنساء معها يجدعن أنوف المسلمين ويبقرن بطونهم ويقطعن الآذان إلا حنظلة؛ فإن أباه كان من المشركين، وبقرت هند عن بطن حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها، فلفظتها. ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرِ *** وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سُعْرِ

مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي من *** صبر وَلَا أَخِي وَعَمِّهِ وبِكْرِي

شَفَيْتُ نَفْسِي وقَضَيْتُ نَذْرِي *** شَفَيْتَ وَحْشِيٌّ غَلِيلَ صَدْرِي

** هند هي قاتلة حمزة –رضي الله عنه– قبل إسلامها وكان في غزوة أحد بواسطة العبد حبشي، وقد قتل لها يوم بدر أبوها عتبة وعمها شيبة قتلهما على وحمزة، وقتل أخوها أيضا.

** ومن الرواة من يرى قصة أنها لاكت كبد "حمزة" –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– عم النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فلم تستسغه فيها نظر، والأحاديث فيها ما بين مرسل وإسناده ضعيف ولم يصح منهم شيء.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** قال معاوية بن أبي سفيان: لما كان عام الحديبية وصدت قريش رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عن البيت، ودافعوه بالراح، وكتبوا بينهم القضية، وقع الإسلام في قلبي فذكرت ذلك لأمِّي هند بنت عتبة، فقالت: إياك أن تخالف أباك، وأن تقطع أمرًا دونه فيقطع عنك القوت. وكان أبي يومئذٍ غائبًا في سوق حباشة.

** ويوم فتح مكة خرج أبو سفيان مسلما حتى إذا دخل مكة صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبل لكم به؛ فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه وقالت: اقتلوا الحَمِيت [وعاء السمن] الدَّسِم الأَحْمَس [الكثير اللحم]. فقال أبو سفيان: لا يغرَنَّكم هذه من أنفسكم؛ فإنه قد جاءكم بما لا قِبل لكم به، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا: قبحك الله! وما تغني دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرَّق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

** وقيل أنها أهدر النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– دمها يوم الفتح، فجاءته مع بعض النسوة في الأبطح فأعلنت إسلامها، وكان بعد إسلام زوجها أبي سفيان –رضي الله عنه–، ولما فرغ رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– من بيعة الرِّجال، بايع النساء، وفيهنَّ هند بنت عتبة، وقد بايعن رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– من غير مصافحة، فقد كان –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لا يصافح النساء، ولا يمس يد امرأة إلا امرأة أحلّها الله له، أو ذات محرم منه.

** فلما بايع رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– النساء، بايعهن {على أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بالله شَيْئاً} قالت هند: وكيف نطمع أن يقبل منا ما لم يقبله من الرجال؟ يعني أن هذا بين لزومه. وقال في البيعة: {وَلاَ يَسْرِقْنَ} قالت: والله إني لأصيب الهنة من مال أبي سفيان لا يدري أيحل لي ذلك؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر هو لك حلال؛ فضحك رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وعرفها فقال لها: (وإنك لهند بنت عتبة؟) قالت: نعم، فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك. فقال: {وَلاَ يَزْنِينَ} قالت هند: وهل تزني الحرة؟! فلما قال: {وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ} قالت: ربيناهم صغارًا وقتلتهم كبارًا. وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر، فضحك

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عمر –رضي الله تعالى عنه– حتى استلقى، وتبسم رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فقال: {وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ [لا يلحقن بأزواجهن ولداً من غيرهم] بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ} فقالت: والله إنّ البهتان لأمر قبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: {وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ} فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء.

وشكت إلى رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– زوجها أبا سفيان أنه شحيح لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وولدها، فقال لها رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– (خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك وولدك).

** وفي رواية أنها أسلمت في فتح مكة بعد إسلام زوجها أبى سفيان بليلة واحدة إذ دخلت على زوجها فقالت له إني أريد أن أبايع محمداً. قال: لقد رأيتك تُكذبين هذا الحديث بالأمس. فقالت والله ما رأيت الله عبد حق عبادة في هذا المسجد قبل الليلة، والله إن باتوا إلا مصلين، فذهبت إلى أخيها أبى حذيفة بن عتبة واستأذن لها أن تدخل على رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وقالت: "الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه"، وأسلمت لله، وبايعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

** وفي البخاري عن عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ جَاءَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، وَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ. ثُمَّ قَالَتْ: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مِسِّيكٌ فَهَلْ عَلَيَّ مِنْ حَرَجٍ أَنْ أُطْعِمَ مِنْ الَّذِي لَهُ عِيَالَنَا؟ قَالَ لَهَا: (لَا حَرَجَ عَلَيْكِ أَنْ تُطْعِمِيهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ).

** وفي رواية عن عائشة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْها– قالت: جاءت هندٌ إلى النَّبيِّ –صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّم–، فقالت: يا رسولَ اللَّهِ إنَّ أبا سفيانَ رجلٌ شحيحٌ، لا يعطيني ما يَكفيني وولَدي، إلَّا ما أخذتُ من مالِهِ، وَهوَ لا يعلَمُ، فقال: (خُذي ما يَكفيكِ وولدَكِ بالمعروفِ) [أخرجه البخاري]

** ولما أسلمت وبايعت عادت إلى بيتها فجعلت تكسر صنمًا كان عندها في بيتها بالقَدُوم حتى فلذته فلذة فلذة وهي تقول: «كنتُ مِنْكَ في غرور».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** ويقال أنها يوم إسلامها أهدت إلى رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– جديين، واعتذرت من قلة ولادة غنمها، فدعا لها بالبركة في غنمها فكثرت، فكانت تهب وتقول: هذا من بركة رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام.

** جاء عمر بن الخطاب إلى أبي سفيان، فإذا هند بنت عتبة –رضي الله عنها– امرأته تهيئ أُهُبه لها في المدينة، فقال: أين أبو سفيان؟ فقالت هند: ها هو ذا. وكان في ناحية من البيت، فقال: احتسبا واصبرا. فقالا: مَن يا أمير المؤمنين؟ قال: يزيد بن أبي سفيان. فقالا: من استعملت على عمله؟ قال: معاوية بن أبي سفيان. قالا: وصلتك رحم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

** شهدت هند –رَضِيَ اللَّهُ عَنْها– اليرموك مع زوجها، فلم تترك هند ساحة الجهاد ولكن هذه المرة في سبيل الله، فقد شهدت معركة اليرموك وحرضت على قتال الروم وجعلت تقول "عضدوا الغلفان بسيوفكم معشر المسلمين"

** توفت في ولاية عمر بن الخطاب في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة سنة أربع عشرة من الهجرة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فتنة مقتل سيدنا عثمان
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

في سفره القيم «الدولة الأموية» يصدر لنا د. يوسف العُش كتابه بأحداث الفتنة الكبرى ومقتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– في تحليل دقيق يقارن بين الروايات، ويمحص الواهي منها والصالح، ويربط بين ما صح منها، في أسلوب منهجي يكشف به زيف الروايات التي طعنت في الصحابة –رضوان الله عليهم– ويجلي لنا حقيقة المحنة التي كانت مساحة عصيبة في تاريخنا الإسلامي التليد.

** لقد كتب الأقدمون عن مقتل عثمان كثيرا، ولعل أول من أفرد الفتنة بالتصنيف هو أبو مخنف لوط بن يحيى (١٥٧) فإن له كتاب «مقتل عثمان» وتبعه سيف بن عمر التميمي (١٨٠) فكتب كتاب «الفتوح الكبير والردة» وكتاب «الجمل ومسيرة عائشة وعلي»، ووضع أبو عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٧) كتاب «مقتل عثمان» ووضع معاصره محمد بن عمر الواقدي كتاب «الردة والدار» ومحوره مقتل عثمان في داره، ثم إن علي بن المدائني (٢٢٥) أخرج كتاب «مقتل عثمان» ولعل عمر بن شبّة (٢٦٢) هو من أواخر الأقدمين الذين أفردوا بالتأليف «مقتل عثمان»

ولم يسلم كتاب من كتبهم هذه من عوادي الدهر، فليس بين أيدينا منها أي كتاب. لكن المؤرخين الذين تلوهم حفظوا لنا بعض ما في هذه الكتب، فالبلاذري يروي لنا قسما من أخبار أبي مخنف والواقدي، والطبري يحفظ لنا الجزء الأكبر من أخبار سيف بن عمر والواقدي.

لكن أبو مخنف شيعي [قال عنه أئمة الجرح والتعديل: هالك] لا يعز عليه أن يظهر عثمان بمظهر الخليفة الذي كثرت سقطاته، فاستحق ما استحقه، وأن يبين أن

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

طلحة بن عبيد الله كان من المؤلبين على عثمان والثائرين عليه، ويؤثر أن يظهر علي بن أبي طالب بمظهر من يعطف على عثمان ويدافع عنه مع غضبه من أفعاله وأقواله.

أما الواقدي [النسائي والشافعي يتهمانه بالكذب والوضع، وقال الذهبي: استقر الإجماع على وهن الواقدي] فنرى في رواياته التشنيع على عثمان، حتى أن الطبري تورع من نقل كثير من أخباره لبشاعتها، وما نقله عنه فيه الكثير من الطعن على عثمان، ويزيد البلاذري عنه في تلك الأخبار الطاعنة، ولا يتورع الواقدي عن إظهار الصحابة بمظهر المتآمرين على عثمان، ويخص بالذكر منهم طلحة، ثم هو لا يهمه أن يظهر أن علي بن أبي طالب مخالف لعثمان حانق منه، أما محمد بن أبي بكر فهو عنده القاتل أو المباشر بالقتل.

ونجد سيف بن عمر التميمي [متهم بالزندقة] ينتحي جانبا عن أبي مخنف والواقدي، فيعرض تسلسلا تاريخيا ليس فيه تهمة للصحابة بل تبرئة لهم.

** وفي قصة الراكب [وهو الذي أرسله المتآمرون –مكيدة– رسولا من لدى عثمان لواليه بمصر يأمره بقتل الثوار] عجب وأي عجب، فهو ليس رسولا عاديا قد أرسل بمهمة سرية، وطلب إليه أن يتجنب الناس في طريقه، وأن يبلغ هدفه دون أن يلتفت إليه إنسان، كما هو شأن المرسلين بأمر خطير يجب ألا يعرف، إنما هو راكب كان يقصد أن يعرف أمره، فهو كان يتعرض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم ويسبقهم، ومن يفعل هكذا؟ أليس شخصا يريد أن يلفت النظر إليه، وأن يثير الشبهة، وأن يلتقط فيسأل عما معه؟!

ولما رجع الثوار لم يشعر أهل المدينة إلا والتكبير في نواحيها، فقال علي للثوار: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قال أهل مصر: أخذنا مع البريد كتابا مختوما من عثمان يأمر عامله بقتلنا، قال علي: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بخبر الكتاب المرسل إلى أهل مصر، وقد سرتم مراحل على طريق بلدكم؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة. فقال الثوار: ظنوا ما شئتم فلن نحيد عن طلب اعتزال عثمان واستقروا بالمدينة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** وثانية الحقائق التي تنكشف أمر علي بن أبي طالب، وأن الوفد قد تلقى منه كتابا تحثه على المجيء إلى المدينة ومناجزة عثمان. هذه الكتب غير صحيحة، فعلي يقول: "والله ما كتبت إليكم كتابا قط" فهنالك إذن تزوير على لسانه وكتاب كتب باسمه لتهييج الناس.

ولم يكن الكتاب الذي كتب باسمه هو الوحيد، ففي نص آخر صحيح الإسناد كما يقول ابن كثير: [قال مسروق لعائشة]: هذا [أي قتل عثمان] عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمريهم أن يخرجوا إليه، فقالت: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا.

قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كُتب على لسانها.

** والحقيقة الثالثة أن عثمان بعد أن ينفي أن يكون قد كتب الكتاب، يلفت النظر إلى أن الخاتم ليس خاتمه، بل خاتم منقوش على مثال خاتمه.

هذه الحقائق الثلاث تبين لنا أن وراء الحادث مؤامرة تحاك، وليس أبطالها –كما تدعيه النصوص المزيفة– الصحابة في المدينة، كعلي وطلحة والزبير وعائشة، بل رجال آخرين مزورين لا يظهرون أنفسهم.

** ومما يؤكد وجود مؤامرة أن مطالب الثوار مطالب تطلب في كل عهد ولا تتطلب ثورة بهذا التدبير والتقتيل

ففي تاريخ دمشق: قال عثمان –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أيكم يأتي هؤلاء القوم فيسألهم ما الذي نقموا وما الذي يريدون، ثلاث مرات لا يجيبه أحد، فقام علي فقال أنا فقال عثمان: أنت أقربهم رحما وأحقهم بذلك، فأتاهم فرحبوا به، وقالوا: ما كان يأتينا أحد أحب إلينا منك. فقال: ما الذي نقمتم؟ قالوا نقمنا أنه محا كتاب الله [أي جمع الأمة على مصحف واحد] وحمى الحمى واستعمل أقرباءه، وأعطى مروان مائة ألف، وتناول أصحاب النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–

فرد عليهم عثمان: أما القرآن فمن عند الله، إنما نهيتكم لأني خفت عليكم الاختلاف فاقرءوا على أي حرف شئتم، وأما الحمى فوالله ما حميته لإبلي ولا غنمي وإنما حميته لإبل الصدقة لتسمن وتصلح وتكون أكثر ثمنا للمساكين، وأما قولكم أني

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أعطيت مروان مائة ألف فهذا بيت مالهم فليستعملوا عليه من أحبوا، وأما قولهم تناول أصحاب النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فإنما أنا بشر أغضب وأرضى، فمن ادعى قبلي حقا أو مظلمة فهذا أنا فإن شاء قود وإن شاء عفو، وإن شاء أرضي فرضي الناس واصطلحوا ودخلوا المدينة.

** إن لنا أن نتساءل من هم أولئك الذين اختفوا ووراء الفتنة يحركونها.. إن الواقدي وأبا مخنف يوضحان لنا خبر تلك الأيدي، فإذا هي أيدي الصحابة الذين كانوا حول عثمان كطلحة والزبير وعائشة وعمرو بن العاص ومحمد بن أبي حذيفة وعمار بن ياسر .. لكن قليلا من الفكر يبعد اشتراكهم، وهم الذين خرجوا (طلحة والزبير وعائشة وعمرو بن العاص) على الخليفة علي يحاربونه بدعوى المطالبة بدم عثمان؟!

ولئن كان الواقدي وأبو مخنف لا يقدمان لنا بيانا معقولا سليما عن اليد الخفية، فإن سيف بن عمر يكشف عنها كشفا واضحا، خاصة وأن روايته هذه كان موقفه فيها موقف رجال السلف في احترامه للصحابة وتنزيهه لهم عن فعل القبيح.

** في الطبري قال سيف عن مشايخه: كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم [أي استقر] فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع، وقد قال الله عز و جل {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد} فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقُبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد ثم قال محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء ثم قال بعد ذلك من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ووثب على وصي رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وتناول أمر الأمة ثم قال لهم بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر فبث دعاته وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون فيقول أهل كل مصر إنا لفي عافية ما ابتلي به هؤلاء إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا إنا لفي عافية مما فيه الناس.

ويظهر من هذا النص الأسلوب الذي اتبعه ابن سبأ، فهو أراد أن يرفع من منزلة علي بن أبي طالب، وأن يجعل عثمان مغتصبا، فيوقع بين اثنين من الصحابة، فضلا عن تحريك الناس على أمرائهم تحت ستار مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم إنه لما لم يحصل على كامل مطلوبه من ذلك –لأن المنكرات لم تكن كما كان يود أن تكون– صار يحض أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مصرهم إلى بقية الأمصار، فيتخيل أهل البصرة مثلا أن حال أهل مصر على أسوأ ما يكون من واليهم، ويتخيل أهل مصر أن حال أهل الكوفة على أسوأ ما يكون من قبل أميرهم، وكان أهل المدينة يتلقون الكتب من الأمصار جميعا بحالها وسوءها من أتباع ابن سبأ، ويستفيد من هذه الحال ضعاف الإيمان.

** وشعر الخليفة عثمان –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– بأن شيئا يحاك في الأمصار، فكتب إلى أهل الأمصار:

أما بعد فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يرفع علي شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته وليس لي ولعيالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم وقد رفع إلي أهل المدينة أن أقواما يشتمون وآخرون يضربون فيا من ضرب سرا وشتم سرا من ادعى شيئا من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان مني أو من عمالي أو تصدقوا فإن الله

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يجزي المتصدقين، فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس ودعوا لعثمان، وقالوا: إن الأمة لتمخض بشر.

** وخطب عثمان يوم الجمعة في المسجد وشهّد على صحة كلامه محمد بن مسلمة، فأخذ حكيم بن جبلة ابن مسلمة فأقعده، فقام زيد بن ثابت، وطلب الكتاب الذي عثروا عليه [ليرده عليهم وهو أعرف الناس بالخطوط] فأقعده أيضا، وثار الثوار بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صرع على المنبر مغشيا عليه. وكان المصريون لا يطمعون في مساعدة أحد من أهل المدينة إلا محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة. أما غيرهم فقد استقتلوا في الدفاع عن عثمان. ثم إن عثمان بعث: أن انصرفوا، فانصرفوا، وأقبل علي وطلحة والزبير حتى دخلوا على عثمان يعودونه من صرعته، ويشكون بثهم ثم رجعوا إلى منازلهم.

وتفرق أهل المدينة في بساتينهم ولزموا بيوتهم لا يخرج أحد ولا يجلس إلا وعليه سيفه خوفا على نفسه، وحاصر الثوار المدينة أربعين يوما ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح.

** ولما قضى عثمان في ذلك المجلس حاجاته، وعزم له المسلمون على الصبر والامتناع عليهم بسلطان الله تعالى، قال: اخرجوا رحمكم الله فكونوا بالباب، وليجامعكم هؤلاء الذين حبسوا عني، وأرسل إلى علي وطلحة والزبير، وعدة أن ادنوا، فاجتمعوا وأشرف عليهم، فقال: أيها الناس اجلسوا فجلسوا جميعاً المحارب والطارئ والمسالم المقيم، فقال: يا أهل المدينة، إني أستودعكم الخلافة من بعدي، إني والله لا أدخل علي أحداً بعد يومي هذا حتى يقضي الله في قضاءه، ولأدعن هؤلاء وما رأوا، وإني غير معطيهم شيئاً يتخذونه عليكم دخلاً في دين أو دنيا، حتى يكون الله هو الصانع في ذلك ما أحب. وأمر أهل المدينة بالرجوع، وأقسم عليهم فرجعوا إلا الحسن ومحمداً وابن الزبير وأشباهاً لهم، فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم، وثاب إليهم أناس، ولزم عثمان الدار.

** وكان الحصار أربعين ليلة والنزول سبعين، فلما مضت من الأربعين ثمان عشرة ليلة قدم ركبان من الوجوه، فأخبروا خبر من قد تهيأ إليهم من الآفاق: حبيب من

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الشام، ومعاوية من مصر، والقعقاع من الكوفة، ومجاشع من البصرة، فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعوه كل شيء حتى الماء، وقد كان يدخل عليه بالشيء مما يريد، وطلبوا العلل، فلم تطلع عليهم علة، فعثروا، فرموا في داره بالحجارة ليرموا، فيقولوا: قوتلنا وذلك ليلاً فناداهم: ألا تتقون الله! أما تعلمون أن في الدار غيري! قالوا: لا والله ما رميناك، قال: فمن رمانا؟ قالوا: الله، قال: كذبتم، إن الله لو رمانا لم يخطئنا وأنتم تخطئونا، وأشرف عثمان على آل حزم، وهم في جيرانه، فسرح ابناً لعمرو إلى علي بأنهم قد منعونا الماء، فإن قدرتم على أن ترسلوا إلينا بماء فافعلوا، وإلى طلحة الزبير وإلى عائشة وأزواج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فكان أولهم إنجاداً له علي وأم حبيبة، جاء علي في الغلس فقال: يا أيها الناس، إن الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، لا تقطعوا عن هذا الرجل المادة، وإن الروم وفارس لتؤسر فتطعم وتسقى، وما تعرض لكم هذا الرجل في شيء، فبم تستحلون حصره وقتله؟ فقالوا: لا والله ولا نعمة عين، لا نتركه يأكل ولا يشرب. فرمى بعمامته في الدار بأني قد نهضت فيما أنهضتني له، فرجع.

وجاءت أم حبيبة على بغلة لها برحالة مشتملة على إداوة، فقيل: أم المؤمنين أم حبيبة! فضربوا وجه بغلتها، فقالت: بني، إن وصايا بني أمية إلى هذا الرجل، وأحببت أن ألقاه وأسأله عن ذلك كي لا تهلك أموال أيتام وأرامل. فقالوا: كاذبة. وأهووا لها، وقطعوا حبل البغلة بالسيف فندت بأم حبيبة، فتلقاها الناس وقد مالت رحالتها، فتعلقوا بها فأخذوها وقد كادت تقتل، فذهبوا بها إلى بيتها.

وتجهزت عائشة خارجة إلى الحج هاربة، واستتبعت أخاها فأبى، فقالت: أم والله لئن استطعت أن أحرمهم ما يحاولون لأفعلن.

** وعن فاجعة مقتل عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يذكر صاحب «مختصر تاريخ دمشق»: فلما فرغ [أي من صلاة الصبح] أقبل الناس علينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أن أبا بكر وعمر أتياني الليلة فقالا لي: صم يا عثمان فإنك مفطر عندنا، وأنا أشهدكم أني قد أصبحت صائماً، وأعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر إلا خرج من الدار سالماً مسلماً منه، فقلنا: يا أمير المؤمنين، إن خرجنا لم نأمنهم على أنفسنا،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فأذن لنا فلنكن في بيت من الدار يكون لنا فيه جماعة ومنعة، فأذن لهم، فدخلوا البيت، وأمر [أي عثمان] بباب الدار ففتح فدعا بالمصحف وأكب عليه وعنده امرأتاه بنت الفرافصة الكلبية وابنة شيبة، فكان أول من دخل عليه محمد بن أبي بكر فمشى إليه حتى أخذ بلحيته فقال: دعها يا ابن أخي، فوالله إن كان أبوك ليلهف لها بأدنى من هذا [أي ليحزن من أخذ لحيته بأدنى شدة مما يفعل ابنه بها]، فاستحيا فخرج، فقال: قد أشعرته لكم [أصبته في شعره]، وأخذ عثمان ما امتعط [تساقط] من لحيته، فأعطاه إحدى امرأتيه، ثم دخل رومان بن سودان رجل أزرق قصير مخدد [مجدور في خده]، عداده من مراد، ومعه جرز [عامود] من حديد، فاستقبله فقال: على أي ملة أنت يا نعثل؟ [التيس الكبير العظيم الجثة واللحية، وذكر الشيعة أنه من أسماء ذكور الضباع وزعموا أن أنهم إنما أطلقوا عليه هذا الاسم لأوجه الشبه بينه وبين ذكر الضباع، فذكر الضباع –كما زعموا– إذا صاد صيدا قاربه –جامعه– ثم أكله، وعثمان رضي الله عنه –وحاشاه أن يوصف بما رماه به الشيعة من الإفك– "أتى بامرأة لتحد، فقاربها –جامعها– ثم أمر برجمها" –على حد زعم الشيعة–] فقال: لست بنعثل، ولكني عثمان بن عفان، وأنا على ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كنت من المشركين، فقال: كذبت وضربه بالجزر على صدغه الأيسر فقتله فخر، وأدخلته بنت الفرافصة بينها وبين ثيابها، وكانت امرأة ضليعة، وألقت بنت شيبة نفسها على ما بقي من جسده، فدخل رجل من أهل مصر بالسيف مصلتاً، فقال: والله لأقطعن أنفه، فعالج المرأة فغلبته، فكشف عنها درعها من خلفه حتى نظرت إلى متنها، فلما لم يصل إليه أدخل السيف بين قرطها ومنكبها، فقبضت على السيف فقطع أناملها، فقالت: يا رباح، وهو غلام أسود لعثمان أعن على هذا، فمشى إليه الغلام، فضربه ضربة بالسيف فقتلهن ثم أن الناس دخلوا الدار فلما رأوا الرجل قد قتل، وأن المرأتين لا يتركانه، ندم ناس من قريش. واستحيوا، فأخرجوا الناس وثار أهل البيت لهم، فاقتتلوا على باب الدار، فضرب مروان بن الحكم بالسيف على العاتق، فخر فضرب رجل من أهل مصر المغيرة بن الأخنس، فقال الذي قتله: تعس قاتل المغيرة، فألقى سلاحه ثم أدبر هارباً يلتمس التوبة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وأمسينا فقلنا: إن تركتم صاحبكم حتى يصبح مثلوا به، فانطلقوا إلى بقيع الغرقد فأمضا له من جوف الليل، ثم حملناه فغشينا سواد من خلفنا هبناهم حتى كدنا بأن نفترق عنه، فنادى منهم: ألا روع عليكم. اثبتوا، فإنما جئنا لنشهده معكم، وكان أبو خنيس يقول: هم ملائكة الله، فدفناه، ثم هربنا من ليلتنا إلى الشام، فلقينا أهل الشام بوادي القرى عليهم حبيب بن مسلمة.

وكان مقتل سيدنا عثمان –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة ٣٥هـ، فرحمه الله تعالى وأجزل له الثواب والمغفرة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَامِ

** روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: (تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَامِ بِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ أَوْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ أَوْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، فَإِنْ يَهْلَكُوا فَسَبِيلُ مَنْ قَدْ هَلَكَ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَامًا) قَالَ: قُلْتُ أَمِمَّا مَضَى أَمْ مِمَّا بَقِيَ؟ قَالَ: (مِمَّا بَقِيَ) [أحمد وأبو داود وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي]

** وفي رواية مسروق (إن رحى الإسلام ستزول بعد خمس وثلاثين، فإن يصطلحوا فيما بينهم على غير قتال يأكلوا الدنيا سبعين عاما رغدا، وإن يقتتلوا يركبوا سنن من كان قبلهم)

** قوله: (تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَامِ) مثل يريد أن هذه المدة إذا انتهت حدث في الإسلام أمر عظيم يخاف لذلك على أهله الهلاك، يقال للأمر إذا تغير واستحال: "قد دارت رحاه" وهذا والله أعلم إشارة إلى انقضاء مدة الخلافة.

وقوله: (وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ) أي: ملكهم وسلطانهم، والدين: الملك والسلطان، ومنه قوله تعالى: {مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ} [يوسف:٧٦] وكان بين مبايعة الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان إلى انقضاء ملك بني أمية من المشرق نحوا من سبعين سنة.

وقال الخطابي في المعالم والشيخ في شرح السنة المراد بدوران رحى الإسلام الحرب والقتال وشبهها بالرحى الدوارة بالحب لما فيها من تلف الأرواح والأشباح انتهى

وقوله: (فَإِنْ يَهْلَكُوا فَسَبِيلُ مَنْ قَدْ هَلَكَ وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَامًا) اعلم أنهم لما اختلفوا في المراد بدوران رحى الإسلام على القولين المذكورين، اختلفوا في بيان معنى هذا الكلام وتفسيره أيضا على قولين:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فتفسير هذا الكلام على قول الأكثرين (فإن يهلكوا) يعني بالتغيير والتبديل والتحريف والخروج على الإمام وبالمعاصي والمظالم وترك الحدود وإقامتها، وقوله: (فسبيل من هلك) أي فسبيلهم في الهلاك بالتغيير والتبديل والوهن في الدين سبيل من هلك من الأمم السالفة والقرون الماضية في الهلاك بالتغيير والتبديل والوهن في الدين، وقوله (وإن يقم لهم دينهم) أي لعدم التغيير والتبديل والتحريف والوهن يقم لهم سبعين عاما.

قال في جامع الأصول: قيل إن الإسلام عند قيام أمره على سنن الاستقامة والبعد من إحداثات الظلمة إلى أن ينقضي مدة خمس وثلاثين سنة ووجهه أن يكون قد قاله وقد بقيت من عمره خمس سنين أو ست، فإذا انضمت إلى مدة خلافة الخلفاء الراشدين وهي ثلاثون سنة كانت بالغة ذلك المبلغ، وإن كان أراد سنة خمس وثلاثين من الهجرة ففيها خرج أهل مصر وحصروا عثمان –رضي الله عنه– وإن كانت سنة ست وثلاثين ففيها كانت وقعة الجمل وإن كانت سنة سبع وثلاثين ففيها كانت وقعة الصفين انتهى

وقال الطحاوي في مشكل الآثار (بتصرف): قوله صلى الله عليه وسلم (تدور أو تزول رحى الإسلام) يريد بذلك الأمور التي عليها يدور الإسلام، وشبه ذلك بالرحى فسماه باسمها، وكان قوله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بعد خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين ليس على الشك ولكن على أن يكون ذلك فيما يشاؤه الله عز وجل من تلك السنين.

فشاء عز وجل أن كان في سنة خمس وثلاثين فتهيأ فيها على المسلمين حصر إمامهم وقبض يده عما يتولاه عليهم مع جلالة مقداره لأنه من الخلفاء الراشدين المهديين حتى كان ذلك سببا لسفك دمه –رضوان الله عليه– وحتى كان ذلك سببا لوقوع الاختلاف وتفرق الكلمة واختلاف الآراء فكان ذلك مما لو هلكوا عليه لكان سبيل مهلك لعظمه ولما حل بالإسلام منه.

ولكن الله ستر وتلافى وخلف نبيه في أمته من يحفظ دينهم عليهم ويبقي ذلك لهم ثم تأملنا ما بقي من هذه الآثار فوجدنا في حديث مسروق منها عن عبد الله (فإن

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يصطلحوا فيما بينهم على غير قتال يأكلوا الدنيا سبعين عاما رغدا) فإن يصطلحوا بينهم على غير قتال يأكلوا الدنيا سبعين عاما رغدا، ولم يصطلحوا على غير قتال، فتكون المدة التي يأكلون الدنيا فيها كذلك سبعين عاما ثم تنقطع فلا يأكلونها بعدها، ولكن جرت أمورهم على غير ذلك مما لا ينقطع معهم القتال فكان ذلك رحمة من الله لهم وسترا منه عليهم فجرى على ذلك أن يأكلوا الدنيا بلا توقيت عليهم فيه، وقد وجدناهم بحمد الله ونعمته أكلوها بعد ذلك سبعين عاما وسبعين عاما وزيادة على ذلك ودينهم قائم على حاله فعقلنا بذلك أن أصل الحديث في ذلك كما رواه مسروق فيه.

وقيل: إن المقصود بدوران الرحى: الحروب التي تحصل وتقع، ولا شك أن مدة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله تعالى عنهم كانت خلافة راشدة، وكان الخير عظيماً والإسلام منتشراً، وقد حصل بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وتولي علي رضي الله عنه شيء من الاقتتال والاختلاف حيث وجدت الفتن، وحصل اقتتال بين المسلمين، ثم بعد ذلك حصل اجتماع للمسلمين على يدي الحسن بن علي رضي الله عنهما بتنازله لمعاوية وحصول اجتماع الكلمة على معاوية بعدما كانت الفرقة وكان الخلاف قبل ذلك.

وعلى هذا يكون المقصود برحى الإسلام: قوته واستقامته وسلامته، وكونه على منهاج النبوة، وكون الخلافة خلافة نبوة، ويكون بدوران الرحى حصول الخير والنفع، كما أن الرحى إذا دارت على الحب وصار طحيناً ودقيقاً بسبب دوران الرحى حصل بذلك النفع. فيكون معنى هذا: أن الدوران يشبه دوران الرحى بطحن الحب، فيكون في ذلك فوائد للناس.

فعلى هذا يكون المعنى: حصول استقامة وقوة خلافة راشدة، وخلافة نبوة في خمس وثلاثين سنة؛ منها ثلاثون مدة الخلفاء، ومنها خمس هي المدة الباقية من حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد قوله ذاك.

قوله: (فإن يهلكوا فسبيل من هلك)، يعني: من الأمم السابقة، والهلاك لا يلزم أن يكون بتلف وذهاب أجسادهم، بل يكون بانحرافهم وحصول فتن وأمور مضلة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

قوله: (وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين سنة)، ولا شك أنه لم يحصل الهلاك، ولكن حصل قيام الدين، وقيام الملك لبني أمية بعد عهد الراشدين، وقد حصل في زمن بني أمية خير ونفع عظيم، وفتحت الفتوحات وبلغت الديار الإسلامية المفتوحة إلى المحيط الأطلسي غرباً، وإلى بلاد السند والهند والصين شرقاً، وفي حديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: (زُوِيَتْ لِي الْأَرْضُ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها) [ابن ماجة]، وقد بلغ ملك هذه الأمة في زمن بني أمية مبلغاً وصل إلى حد المحيط الأطلسي غرباً وإلى الصين شرقاً، فصار في ذلك القوة للإسلام وأهله.

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: (لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر خليفة) [مسلم وغيره]، والخلفاء الثمانية هم خلفاء بني أمية، وقبلهم الخلفاء الراشدون الهادون المهديون، فهذا فيه بيان أن الإسلام قوي حيث انتشر في هذه المدة، وفتحت الفتوحات، وكثرت الخيرات، واتسعت رقعة البلاد الإسلامية.

قوله: (وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً)، قيل المقصود به: ملكهم، وقد قام ملك بني أمية هذه المدة من حين بويع معاوية -رضي الله عنه- بالخلافة بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه، فمدة سبعين بعد ذلك فيها قوة، وبعد ذلك حصل الضعف في بني أمية، وحصلت الحروب والاقتتال الذي أدى إلى ظهور بني العباس وتغلبهم على بني أمية وانتزاعهم الملك منهم، فتكون مدة السبعين هي من خلافة معاوية إلى تمام السبعين، وخلافة بني أمية تبلغ تسعاً وثمانين سنة، لكن في آخرها حصل اضطراب وقلاقل وفتن، ولكن مدة السبعين سنة هي مدة الخلفاء الأقوياء

قوله: (قال: قلت: أمما بقي أو مما مضى؟ قال: مما مضى). يعني: كأن السبعين بعدما مضى.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

تاريخ الدولة الأموية

في كتابه الماتع «الدولة الأموية» يسرد لنا د. يوسف العش تاريخ هذه الدولة سردا تحليلا لا روائيا ويبدأ سفره بقوله: على التاريخ أن يبين لنا كيف تكون هذا الحادث من مجموعة العوامل، وأن يحدد لنا أثر كل عامل منها في الحادثة التاريخية، ولا ريب أن مهمته هذه غاية في الصعوبة. فمن السهل عليه أن يسجل الحادثة كما وقعت، أما أن يشفع تسجيلها بذكر العوامل التي جعلتها تقع كما وقعت فذلك حمل ثقيل ينوء تحته، لكنه حمل لابد له من أن يتحمله مهما كان ثقيلا.

أما التفاصيل في التاريخ فيبحث عنها المؤرخ ليدل على نظريته أو ليتفهم الوقائع، ويضعها موضعها الصحيح، وكتابنا هذا ليس للمؤرخين بل للتاريخ، وليس للمختصين بل للمطلعين.

** لقد حاول الكثيرون أن يصموا تاريخنا بكثرة الفتن والحروب والمكائد الاضطرابات، غير أن النظرة الصحيحة إلى التاريخ من خلال عوامله العديدة تعطي البيان الواضح عن أن هذه الوصمات لا أصل لها صحيحا، وأن كل ما في الأمر أن هنالك تفاعلات في المجتمع الإسلامي العربي كانت تأخذ طريقها، ولابد أن تأخذ طريقها في ذلك المجتمع، وأن هذه التفاعلات سنة من سنن الله {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً} [الأحزاب:٦٢] وهي تفاعلات تحدث في كل أمة، بل إن الأمم الأخرى كانت تتلقاها بعنف أكثر مما تلقاها به المسلمون والعرب، وتاريخ الأمم الأخرى ممزوج بالحروب والفتن والاضطرابات أكثر من التاريخ العربي، فهذا تاريخ فرنسا وألمانيا منذ الثورة الفرنسية .. إن تاريخها مليء بالحروب: حروب الثورة الفرنسية، حروب نابليون، حرب ١٨٧٠، حرب ١٩١٤، حرب ١٩٣٩، كل ذلك في مدى لا يتجاوز قرنا ونصف قرن، والضحايا التي وقعت في هذه الحروب تتجاوز أضعافا مضاعفة ضحايا الحروب في تاريخنا أجمعه.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** دامت هذه الدولة حتى ١٣٢هـ، وامتدت من أجزاء من الصين شرقا حتى جنوب فرنسا غربا، وتعرضت لكثير من الهجوم والغبن بفعل الشيعة وأذنابهم.

** كانت أول إمبراطورية إسلامية مترامية الأطراف لها حاكم واحد، وإمبراطورية تكتب بالحروف العربية رغم تعدد اللهجات .. أما في خلال المائة عامة الأخيرة حرص المحتل على تغيير الحروف العربية بحروف لاتينية.

** مؤسسها سيدنا معاوية بن أبي سفيان معاوية بن أبى سفيان صخر(رضي الله عنهما) بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب يلتقي نسبه مع نسب الرسول –صلى الله عليه وسلم– عند عبد مناف.

** يقول ابن كثير –رحمه الله–: كانت سوق الجهاد قائمة في بني أميّة، ليس لهم شغل إلّا ذلك، وقد أذلّوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعبًا ولم يتوجّه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلّا أخذوه.

** ولا يُعلم لعائلة حكمت دولة الإسلام كان لها فضل على بني الإنسان مثل عائلة بني أميّة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين، فلبني أميّة أيادٍ بيضاء على أمّة الإسلام منذ فجر الدّعوة وحتّى يوم القيامة.

** فعثمان بن عفان الأمويّ رضي الله عنه هو الّذي جمع القرآن.

** وأمّ المؤمنين أمّ حبيبة بنت أبي سفيان الأموية –رضي الله عنها وأبيها – يكفيها ما نقلته إلينا من سنن المصطفى صلّى الله عليه وسلّم.

** ومعاوية بن أبي سفيان الأمويّ –رضي الله عنه– هو الّذي كتب الوحي من صدر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

** وعبد الله بن سعيد بن العاص بن أميّة –رضي الله عنه– كان أحد شهداء بدر الثّلاثة عشر.

** ويزيد بن أبي سفيان الأمويّ –رضي الله عنه– هو فاتح لبنان وقائد جيوش الشّام.

** ويزيد بن معاوية الأمويّ هو قائد أوّل جيش يغزو مدينة القيصر «القُسطنطينيّة».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** وبنو أميّة فيهم خالد بن يزيد الأمويّ مكتشف علم الكيمياء.

** وبنو أميّة فيهم فاتح الشّمال الإفريقيّ عقبة بن نافع الأمويّ رحمه الله.

** وقبة الصخرة بنى مسجدها الخليفة عبد الملك بن مروان الأموي رحمه الله.

** وبنو أميّة فيهم الخليفة عمر بن عبد العزيز الأمويّ رحمه الله.

** والأندلس فتحها الأمويّون، وأرمينيا، وأذربيجان، وجورجيا، وتركيا، وأفغانستان، وباكستان، والهند، وأوزباكستان، وتركمانستان، وكازاخستان.

كلّها دخلت في الإسلام على ظهور خيول أمويّة، وحمل بنو أمية الإسلام إلى أوروبّا، فالأندلس التي فتحها الأمويّون.

** وجنوب فرنسا أصبح أرضاً إسلاميّة فقط في زمن خلافة بني أميّة.

** عبد الرّحمن الدّاخل الأمويّ بعد الله هو من أنقذ الأندلس من الدّمار.

** وعبد الرّحمن النّاصر الأمويّ كان من أعظم ملوك الأرض.

** وبنو أميّة نشروا رسلهم في أصقاع الأرض يدعون النّاس إلى دين الله سبحانه وتعالىٰ، حتى وصلت رسلهم الصينيّين الّذين أسموهم بأصحاب الملابس البيضاء.

** وفي عهد بني أميّة انتشر العلم وساد العدل أرجاء الخلافة، وبدأ جمع الحديث النّبويّ الشريف زمن حكم بني أميّة.

** وبنو أميّة هم الّذين عرّبوا الدّواوين، وهم الّذين سكّوا أول عملة إسلاميّة، وهم أوّل من بنى أسطولًا إسلاميًّا في التّاريخ.

** وقد وصلت الخلافة الإسلامية في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي إلى أكبر اتّساع لها في تاريخ الإسلام.

فكان الأذان في عهد بني أميّة يرفع في جبال الهملايا في الصّين، وفي أدغال أفريقيا السّوداء، وفي أحراج الهند، وفوق حصون القسطنطينيّة، وعند أبواب باريس، وفوق مرتفعات البرتغال، وعلى شواطئ بحر الظلمات، وعند سهول جورجيا، وعلى سواحل قبرص.

وترفرف على قلاع تلك البلدان رايات بيضاء مكتوبٌ عليها «لا إله إلّا الله، محمدٌ رسول الله».

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

هي رايات بني أمية، فجزاهم الله خيراً وأحسن لمحسنهم وتجاوز عن مسيئهم لما قدّموه للإسلام والمسلمين من إحسان وجعله في ميزان حسناتهم.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الدولة الأموية

نقطه مضيئة في تاريخنا الإسلامي

البعض يتغافل بجهل أو بغرض متعمد عن ما قامت به الدولة الأموية من خير للإسلام عظيم، والشيعة الرافضة وراء كل تشويه للخلافة الأموية، ويردد كلامهم الليبراليين والمغفلين، ونتوقف للإنصاف مع الأمويين ومفاخرهم.. نعم يوجد أخطاء ككل البشر وكل نظم الحكم، ولكن أمامها حسنات كالجبال.

** في بني أمية نماذج عالية ومنارات للخير لا تقارن، منهم:

– الصحابي الجليل عثمان بن عفان الأموي، هو ذو النورين المبشر بالجنة الذي جهز جيشا كاملا للجهاد وخليفة رسول الله وهو الذي جمع القرآن.

– أم المؤمنين الأموية زوجة رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– «أم حبيبة بنت أبي سفيان» – رضي الله عنهم– ويكفيها اختيار النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لها كزوجة له، وما نقلت لنا من سنن المصطفى –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

– معاوية بن أبي سفيان الأموي الصحابي –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– كاتب الوحي من صدر رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

– عبد الله بن سعيد بن العاص بن أمية، وكان أحد شهداء بدر الثلاثة عشر.

– وكيف ننسى أن بني أمية منهم عمر بن عبد العزيز الذي وصف مدحا لسيرته أنه خامس الخلفاء الراشدين والذي تحدث الركبان والمؤرخين والعلماء عن عدله.

** قبة الصخرة بناها عبد الملك بن مروان الأموي.

** بدأ جمع الحديث النبوي في حكم بني أمية.

** بنو أمية هم الذين عرّبوا الدواوين.

** وهم الذين صكوا العملة الإسلامية.

** وهم أول من بني أسطول إسلامي في التاريخ.

** أما الجهاد فحدث ولا حرج

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

– يقول الحافظ "ابن كثير" –عليه رحمة ورضوانه وجزاه الله عن المسلمين كل خير–: كانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية، ليس لهم شغل إلا ذلك، وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، ولا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه. أ هـ

– وقد وصلت الفتوحات في عهد الأمويين إلى أرمينيا، وأذربيجان، وجورجيا، حتى وصلت جيوش الإسلام المجاهدة بالفتوحات إلى أفغانستان، وباكستان، والهند، وأوزبكستان، وتركمانستان، وكازاخستان .. كلها دخلت في الإسلام على ظهور خيول المجاهدين تحت قيادة أموية.

– الأندلس فتحها الأمويون، وحمل بنو أمية لواء الإسلام إلى أوروبا حتى جنوب فرنسا، وأصبحت أرضاً إسلامية فقط في زمن مجاهدي بني أمية، وأنقذ عبد الرحمن الداخل الأموي الأندلس من الدمار، وكان عبد الرحمن الناصر الأموي من أعظم ملوك الأرض وقتها.

**** نشر بنو أمية رسلهم في أصقاع الأرض يدعون الناس إلى دين الله سبحانه وتعالى، فوصلت رسل الأمويين إلى الصينيين الذين أسموهم بـ «أصحاب الملابس البيضاء»،**

ووصلت الخلافة الإسلامية في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي إلى أكبر اتساع لها في تاريخ الإسلام،

فهل ينتبه المسلمون إلى تاريخهم ويعتزوا به ويقفوا أمام التشويه المتعمد لإسقاط صفحات المجد من التاريخ الإسلامي العظيم ؟

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

سيدنا معاوية بن أبي سفيان

رغم أنف المشوهين والحاقدين

قديما وحديثا وطوال التاريخ والشيعة يشوهون في سيرة سيدنا معاوية –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وقد استطاعوا جذب الليبراليين والعلمانيين وكل ناعق. هذا الملك العظيم الذي قاد الأمة الإسلامية عشرين عاما، وحكم ثلث الأرض ودانت له القلوب المؤمنة، بخلاف النفوس الحاقدة التي تتميز غيظا منه لحسن سيرته وسياسته.

** الصحابي الجليل الذي شملته بركة حديث النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فيما رواه البخاري عن أبي هريرة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قال رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: (لا تَسُبُّوا أَصحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَو أَنَّ أَحَدَكُم أَنفَقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدرَكَ مُدَّ أَحَدِهِم وَلا نَصِيفَهُ) [البخاري]

** كاتب الوحي –رضي الله عنه–، ومؤسس دولة بني أميه، ودوما مؤسس أي دولة يكون شخصية متميزة حادة الذكاء، فلقد حكم معاوية –رضي الله عنه– الشام ٤٠ سنة، وكان محبوب جدا، وكان رجل داهية سياسية.

** قال الذهبي: كان رجلاً طويلاً، أبيض، جميلاً، مهيباً. أجلح [أصلع بجانبيْ رأسه]

** ولد قبل البعثة بخمس سنين، وأسلم في عام (٧هـ) وأخفى إسلامه حتى فتح مكة (٨هـ) خوفاً من أبيه، ولم يظهره إلا في فتح مكة، ولذلك ظن كثير من المؤرخين أنه من مسلمة الفتح.

** روي عنه أنه قال: أسلمت يوم القضية، ولكن كتمت إسلامي من أبي، ثم علم بذلك فقال لي: هذا أخوك يزيد وهو خير منك على دين قومه، فقلت له: لم آل نفسي جهدا.

قال معاوية: ولقد دخل علي رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مكة في عمرة القضاء وإني لمصدق به، ثم لما دخل عام الفتح أظهرت إسلامي فجئته فرحب بي، وكتبت بين يديه.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** قال الواقدي: وشهد معه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حنينا، وأعطاه مائة من الإبل، وأربعين أوقية من ذهب، وزنها بلال، وشهد اليمامة.

** لم يُعرف عنه قبل الإسلام أذىً للنبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، لا بيد، ولا بلسان.

** وهو من مشاهير الصحابة وفضلائهم (رضي الله عنهم جميعاً) دعا له الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فقال: (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ).[الترمذي وصححه الألباني]

** أخرج البخاري في التاريخ أن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال لمعاوية –رضي الله عنه–: (اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب).

** وصف النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عهده بالرحمة. فقال –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: (أَوَّلُ هَذَا الْأَمْرِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ يَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا وَرَحْمَةً) السلسلة الصحيحة ٣٢٧٠

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكانت إمارة معاوية ملكًا ورحمةً

** وقد ثبت في صحيح مسلم: من طريق عكرمة بن عمار، عن أبي زميل: سماك بن الوليد، عن ابن عباس –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما– قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَلَا يُقَاعِدُونَهُ فَقَالَ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَا نَبِيَّ اللَّهِ ثَلَاثٌ أَعْطِنِيهِنَّ قَالَ نَعَمْ قَالَ عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ أُزَوِّجُكَهَا قَالَ نَعَمْ [لكن الرواة مجمعون على وهم راوي الحديث عكرمة بن عمار وأن المقصود عزة بنت أبي سفيان وأن الرسول قال: (إن ذلك لا يحل لي) لأن عنده أختها أم حبيبة بنت أبي سفيان التي زوجها النجاشي من رسول الله سنة ست بالحبشة] قَالَ وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَتُؤَمِّرُنِي حَتَّى أُقَاتِلَ الْكُفَّارَ كَمَا كُنْتُ أُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ قَالَ نَعَمْ

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ وَلَوْلَا أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا قَالَ نَعَمْ

** روى مسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ قَالَ فَجَاءَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً [صفعني على رقبتي] وَقَالَ:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

(اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ) قَالَ فَجِئْتُ فَقُلْتُ هُوَ يَأْكُلُ قَالَ ثُمَّ قَالَ لِيَ: (اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ) قَالَ فَجِئْتُ فَقُلْتُ هُوَ يَأْكُلُ فَقَالَ: (لَا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ)

وروى مسلم عن أبي هريرة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قال:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ (اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ وَإِنِّي قَدْ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

** ومن الأحاديث الدالة على فضله ما رواه البخاري –رحمه الله– عن أُمّ حَرَامٍ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا [فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة] قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا فِيهِمْ قَالَ أَنْتِ فِيهِمْ [وكان ذلك جيش معاوية وبقيادته لفتح قبرص في خلافة عثمان رضي الله عنهما] ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ [القسطنطينية] مَغْفُورٌ لَهُمْ فَقُلْتُ أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَا.

وفي رواية للبخاري عن أنس –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ [ظهر هذا البحر ووسطه] مُلُوكًا عَلَى الْأَسِرَّةِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ) [يركبون مراكب الملوك لسعة حالهم واستقامة أمرهم وكثرة عددهم] قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقُلْتُ وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ: (أَنْتِ مِنْ الْأَوَّلِينَ) فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنْ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** ومعاوية خال المؤمنين أخو أمِّ المؤمنين أمِّ حَبيبة رَمْلة بنت أبي سفيان رضي الله عنها، ولذلك قال الإمام أحمد: أقول: معاوية خال المؤمنين، وابن عمر خال المؤمنين
وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: قلت لأحمد ابن حنبل: أليس قال النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: (كُلّ صِهْرٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ إلّا صِهْرِي وَنَسَبِي؟) قال: بلى! قلت: وهذه لمعاوية؟ قال: نعم، له صهرٌ ونسبٌ

** وروى الطبراني عن عائشة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْها– قالت: لما كان يوم أم حبيبة من النبي دق الباب داق فقال النبي أنظروا من هذا قالوا معاوية فقال ائذنوا له ودخل وعلى أذنه قلم له يخط به فقال: (ما هذا القلم على أذنك يا معاوية؟) قال: أعددته لله ولرسوله. قال: (جزاك الله عن نبيك خيرا، والله ما استكتبتك إلا بوحي من الله عز وجل، وما أفعل من صغيرة ولا كبيرة إلا بوحي من الله عز وجل، كيف بك لو قد قمصك الله قميصا) يعني الخلافة فقامت أم حبيبة فجلست بين يديه، فقالت: يا رسول الله، وإن الله مقمص أخي قميصا؟ قال: (نعم، ولكن فيه هنات وهنات وهنات) فقالت يا رسول الله فادع له فقال: (اللهم أهده بالهدى وجنبه الردى واغفر له في الآخرة والأولى)
قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن هشام إلا عبد الله بن يحيى تفرد به السري

** ولاه الرسول –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بعض عمله فكان يكتب له، ولما بعث أبو بكر الجيوش سار إلى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبى سفيان حتى مات يزيد.

** كان معاوية محاربا في موقعة اليرموك وفتح الشام، ثم ولاه عمر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– فتح قيسارية، وكتب إليه: أما بعد فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير.

فسار إليها فحاصرها، وزاحفه أهلها مرات عديدة، وكان آخرها وقعة أن قاتلوا قتالا عظيما، وصمم عليهم معاوية، واجتهد في القتال حتى فتح الله عليه، فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحوا من ثمانين ألفا، وكمل المائة الألف من الذين انهزموا عن المعركة، وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه... وكان عمر معاوية وقتها ٣٣سنة، وكانت سنة ١٥هـ.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** قال ابن كثير: انعقدت الكلمة على معاوية، وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين، فلم يزل مستقلا بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية. والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو.

لكن لابد أن نتفطن للكثير من الروايات التي فيها محاذير كثيرة ووقفات في طياتها عديدة حتى ولو كانت في مجملها تحمل ثناء لمعاوية رضي الله عنه، فمن أشهرها:

** بعد طاعون عَمَواس وموت كثير من القادة وعظماء الصحابة ولى عمر معاوية الشام، يقول أهل التاريخ: لما ولى عمر يزيد بن أبي سفيان ما ولاه من الشام، خرج إليه معاوية فقال أبو سفيان لهند: كيف رأيت صار ابنك تابعا لابني؟ [كان يزيد ولد أبي سفيان من غير هند] فقالت: إن اضطربت خيل العرب فستعلم أين يقع ابنك مما يكون فيه ابني، فلما مات يزيد بن أبي سفيان سنة بضع عشرة، وجاء البريد إلى عمر بموته، رد عمر البريد إلى الشام بولاية معاوية مكان أخيه يزيد، ثم عزى أبا سفيان في ابنه يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين من وليت مكانه؟ قال أخوه معاوية، قال: وصلت رحما يا أمير المؤمنين.

ووصته أمه هند بقولها: والله يا بني إنه قل أن تلد حرة مثلك، وإن هذا الرجل قد استنهضك في هذا الأمر، فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت.

وقال له أبوه: يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله، وقصر بنا تأخيرنا فصاروا قادة وسادة. وصرنا أتباعا، وقد ولوك جسيما من أمورهم فلا تخالفهم، فإنك تجري إلى أمد فنافس فإن بلغته أورثته عقبك

فلم يزل معاوية نائبا على الشام في الدولة العمرية والعثمانية مدة خلافة عثمان، وافتتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قبرص وسكنها المسلمون قريبا من ستين سنة في أيامه ومن بعده، ولم تزل الفتوحات والجهاد قائما على ساقه في أيامه في بلاد الروم والفرنج وغيرها

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

.. لكن هذه الرواية فيها شكوك كثيرة لما فيها من طعن في أبي سفيان – رضي الله عنه – حيث يظهره بمظهر الحريص على الزعامة وأن حزنه لتأخره في الإسلام كان من أجل الدنيا، وأنه يحث ابنه على المنافسة في هذه الزعامة، وتحريضه على توريث الحكم.

** لما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم كثيف، فاجتاز بعمر وهو وعبد الرحمن بن عوف راكبان على حمار، ولم يشعر بهما، فقيل له: إنك جاوزت أمير المؤمنين، فرجع، فلما رأى عمر ترجل، فلما دنا من عمر قال له عمر: أنت صاحب الموكب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: هذا حالك مع ما بلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: هو ما بلغك من ذلك.

قال: ولم تفعل هذا؟ لقد هممت أن آمرك بالمشي حافيا إلى بلاد الحجاز، قال: يا أمير المؤمنين إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله ويرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت.

فقال له عمر: يا معاوية ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس [جمع راجبة: وهي ما بين عقد الأصابع من داخل أي: أضيق ما يكون]، لئن كان ما قلت حقا إنه لرأي أريب وإن كان باطلا إنه لخدعة أديب.

قال: فمرني يا أمير المؤمنين بما شئت، قال: لا آمرك ولا أنهاك.

فقال رجل: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه؟! فقال عمر: لحسن موارده ومصادره جشمناه ما جشمناه.

ولكن:

فهل كان معاوية – رضي الله عنه – مشغولًا عن رعيته بالطعام والشراب؟!، وهل يعقل ألا يثق عمر في كلام معاوية – رضي الله عنهما – فيقول له: «لئن كان ما قلت حقًا، إنه لرأي أريب، ولئن كان باطلًا إنه لخديعة أديب»؟!.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

شخصية معاوية بن أبي سفيان
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

في كتابه الماتع «الدولة الأموية» يسرد لنا د. يوسف العش، طرفا من سيرة الصحابي الجليل سيدنا معاوية –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– مجليا جوانب من شخصيته الفذة، ومنصفا في عرض سيرته العطرة، التي تركت بصمتها في التاريخ الناصع لأمتنا الإسلامية الغراء، فرحم الله سلفنا الصالح الذين نتقرب إلى الله تعالى بحبهم وموالاتهم والترحم والترضي عليهم في كل آن وحين.

** إن طبع معاوية –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وصفاته النفسية وعقليته كانت في المستوى الذي يوفي مسائل تلك الساعة حقها، فهو رجل ذلك العصر، كان كفؤا بالإدارة، إذ عاناها عشرين عاما قبل أن يصبح خليفة، فأحسنها وعرفها وعجنها، ثم كان كفؤا بالحرب، فقد حارب الروم فغلبهم في مواقع كثيرة، وقد حارب عليا –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وكسب في المرحلة الأخيرة من حربه معه.

ثم إنه عارف بالرجال، يفهم نفسيتهم وأطوارهم، ويمتزج بتلك النفسية والأطوار فيسيرها نحو هدفه، ويحسن التصرف بها كل الحسن، يسوس الناس بما ينبغي أن يساسوا به، فينقلبون عليه متوددين طائعين مقدرين ظروفه.

وهو بعيد النظر كل البعد، فهو لا يدرس مسائل الساعة وحدها، بل يرى من خلالها خطوطا للمستقبل عليه رسمها ووضعها موضع التنفيذ.

هذا البعد في النظر العمق في درس الأشياء يرافقه صبر شديد، وتحمل للمشاق دون تضجر وتأفف، ويرافقه أيضا حلم شديد وتواضع كبير يصل به إلى أن يفتح صدره لجليسه ويرفعه إلى أكثر مما ينبغي، وهذا يرضي الجليس ويرضي العربي خاصة،

** ومعاوية بعد ذلك كله يعمل فكره وسياسته في كل أمر، فيدرك بالسياسة ما لا يدرك بالسيف. والسياسة عنده طويلة الباع، بعيدة الأغوار، تتناول كل تفصيل، وتنظر إلى كل خبر، فكأنه يود أن يطلع على كل شيء.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** ونضيف إلى ما تقدم كرمه، فقد كان كريما لا يداني في كرمه، فالأموال تغدق من بين يديه دون حساب، وهو لا يعدها حين يعطيها، لكنه يحسن التصرف فيها، فلا يعطيها إلا إذا عادت عليه بفائدة، ولا يتصرف فيها إلا في محلها، فهي خادمة له تؤدي أوامره وتعطيه غاياته، وكان معاوية سيدا عربيا يتحلى بكل المزايا التي يجب أن يتحلى بها السيد العربي، مع سؤدد وعظمة، وهيبة وفصاحة لسان، وتجوال في المعاني والأفكار، فلا يدع إنسانا يسبقه في بلاغته إلا متغاضيا عنه أو متواضعا أو متساهلا، وسياسته عملية، فهو يعرف من أين تؤكل الكتف، وكل شيء عنده يلبس لباس السياسة، على أنه لباس زاه جميل.

** أما الإسلام فمعاوية يرى أن يخدمه في الفتوح، وهو في الفتوح قائد كبير له فيه يد كبيرة، فقد كان من سياسته، وهو وال على الشام، أن يسير الفتوح وينشر الإسلام، ويوسع رقعته، واستمر على ذلك بعد أن أصبح خليفة.

وهناك ثلاث جبهات:

أ– الغربية: فالعرب كانوا قد وصلوا إلى جهات تونس اليوم، وأخذوا يتقدمون نحو الغرب، لكن القبائل البربرية كانت تقاومهم بشدة وتندد بهم، وأقام معاوية رجلا عظيما قائدا لتلك الجبهة وهو «عقبة بن نافع»، فسار في الفتوح، وأخضع عددا كبيرا من القبائل البربرية، فدخلوا في الإسلام، وخير ما فعل هو حماية العرب من الهجمات الغادرة، إذ أسس لهم القيروان، ومنها كانت تسير الفتوح ثم تعود البعوث إليها.

ب– وأما في الشرق فالبطل هو المهلب بن أبي صفرة، يحارب الترك، ويسير في بلادهم، ويعود منها منتصرا، وله انتصارات مهمة فيها.

ج– والجبهة التي كان يهتم بها معاوية خاصة هي جبهة الروم، فقد نظم أمره فيها تنظيما جيدا، فأحدث الشواتي والصوائف، وهي بعوث تسير إحداها للحرب في الصيف والأخرى في الشتاء.

ثم أولى الخليفة الأسطول لفتح القسطنطينية من البر والبحر اهتماما خاصا، فأنشأ أسطولا حربيا عظيما، عدد سفنه ألف وسبعمائة سفينة، وهو أسطول ضخم، واستطاع به فتح بعض الجزر، وامتد الأسطول أيضا إلى القسطنطينية بعد أن استطاع أن ينتصر

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

في معركة «ذات الصواري»، فقد انتصر فيها على الروم نصر مؤزرا، على أن الصعوبة كانت في تلك النار التي يقذف بها الروم على السفن فتحرقها، وتعرف بالنار الإغريقية.

وحدث أن معاوية عام ٤٨هـ جهز جيشا عظيما لفتحها، وكان فيه عدد كبير من الصحابة، منهم أبو أيوب الأنصاري وابن عباس وابن الزبير وابنه يزيد، وسار الجيش حتى بلغ أبوابها، وأبلى بلاء حسنا فيها، وكان من أفراده من يطلب الموت لأجل الشهادة، على أن الجيش لم يستطع اقتحام المدينة من البر، وهي محصنة خير تحصين، فاستشهد عدد كبير، وقد حفظ الأتراك قبور الشهداء، وبصفة خاصة قبر أبي أيوب الأنصاري، وكانت ملوكهم تتوج بالخلافة في ضريح أبي أيوب، وفشلت الحملة خاصة لأن النار الإغريقية أحرقت السفن، لكن فشلها لم يثن معاوية عن متابعة شواتية وصوائفه دون جدوى كبيرة.

** أوجد معاوية نظام الوراثة في الخلافة، واعتقد أن هذا النظام يحل المشاكل التي يمكن أن تقع في الصراع بين التيارات المختلفة، ولعله تخيل أنه لو ترك الأمر لحين وفاته دون ولي للعهد لظهر الخصام حالا، ولتنافر المسلمون وتقاتلوا، فيجب عليه إذن أن يعهد بولاية العهد لشخص معين.

واندفعت عاطفة معاوية نحو ابنه يزيد ليتخذ له البيعة، على أنه كان بصيرا في ترتيب تلك البيعة، فلم يقم بها دون روية بل أعد لها عدتها، وأول ذلك أنه أرسل إلى زياد [أخو معاوية وكان على العراق] يستشيره في شأنها، وكأنه يطلب بذلك موافقته عليها، وكان جواب زياد بعد أن استشار مستشاريه أن يتريث معاوية، ولعله يشير بذلك إلى أنه يجب أن يبدو يزيد بأحسن مظهر من مظاهره، فيتخلى عن صفتيه المعيبتين [الكسل والاستهتار] ويقبل على الجد، ويهتم بشئون المملكة أكثر من ذي قبل، وقبل معاوية بتلك النصيحة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

معاوية الملك المحنك

يقول الأستاذ منير الغضبان في كتابه «معاوية»: لقد كان معاوية ملكا حقا. لكنه كان يملك من العبقرية والكفاءة ما يجعله خليقا بهذا الملك، ولم يعتمد البطش والإرهاب سبيلا لسيطرته واستتباب حكمه، بل كانت السياسة الرشيدة العاقلة الحكيمة التي اختطها هي التي حفظت له هذا الملك عشرين عاما دون منازع. ولا أبالغ إذا قلت إن نهج معاوية في هذا الشأن هو قبس من نهج النبوة، فكان غزو القلوب والإحسان إليها هو الأصل، مع الوعي والحذر الشديدين أن لا تنتفض الأمة عليه.

** روى أبو داود عَنْ سَفِينَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: (خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ). قَالَ سَعِيدٌ قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ أَبَا بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَعُمَرُ عَشْرًا، وَعُثْمَانُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَعَلِيٌّ كَذَا قَالَ سَعِيدٌ قُلْتُ لِسَفِينَةَ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَام لَمْ يَكُنْ بِخَلِيفَةٍ قَالَ كَذَبَتْ أَسْتَاهُ بَنِي الزَّرْقَاءِ يَعْنِي بَنِي مَرْوَانَ.

** قال الذهبي: وَخَلَفَ مُعَاوِيَةَ خَلْقٌ كَثِيْرٌ يُحِبُّوْنَهُ وَيَتَغَالُوْنَ فِيْهِ، وَيُفَضِّلُوْنَهُ، إِمَّا قَدْ مَلَكَهُم بِالكَرَمِ وَالحِلْمِ وَالعَطَاءِ، وَإِمَّا قَدْ وُلِدُوا فِي الشَّامِ عَلَى حُبِّهِ، وَتَرَبَّى أَوْلاَدُهُمْ عَلَى ذَلِكَ. وَفِيْهِمْ جَمَاعَةٌ يَسِيْرَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَعَدَدٌ كَثِيْرٌ مِنَ التَّابِعِيْنَ وَالفُضَلاَءِ، وَحَارَبُوا مَعَهُ أَهْلَ العِرَاقِ.

** ذكر ابن كثير في البداية عن المسور بن مخرمة أنه وفد على معاوية قال: فلما دخلت عليه حسبت أنه قال: سلمت عليه. فقال: ما فعل طعنك على الأئمة يا مسور؟ قال قلت: ارفضنا من هذا وأحسن فيما قدمنا له، فقال: لتكلمني بذات نفسك، قال: فلم أدع شيئاً أعيبه عليه إلا أخبرته به، فقال: لا تبرأ من الذنوب؟!، فهل لك من ذنوب تخاف أن تهلكك إن لم يغفرها الله لك؟ قال: قلت: نعم، إن لي ذنوباً إن لم يغفرها هلكت بسببها، قال: فما الذي يجعلك أحق بأن ترجوا أنت المغفرة مني، فوالله لما إلي من إصلاح الرعايا وإقامة الحدود والإصلاح بين الناس والجهاد في سبيل الله والأمور

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

العظام التي لا يحصيها إلا الله ولا نحصيها أكثر من العيوب والذنوب، وإني لعلى دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات، والله على ذلك ما كنت لأخيَّر بين الله وغيره إلا اخترت الله على غيره مما سواه، قال: ففكرت حين قال لي ما قال فعرفت أنه قد خصمني. قال: فكان المسور إذا ذكره بعد ذلك دعا له بخير.

** روى الطبراني في المعجم الكبير عن أبي قبيل يأثر عن معاوية بن أبي سفيان أنه صعد المنبر يوم الجمعة فقال عند خطبته: "إنما المال مالنا والفيء فيئنا فمن شاء أعطيناه ومن شئنا منعناه" فلم يجبه أحد، فلما كان الجمعة الثانية قال مثل ذلك فلم يجبه أحد، فلما كان الجمعة الثالثة قال مثل مقالته فقام إليه رجل ممن حضر المسجد فقال: كلا إنما المال مالنا والفيء فيئنا فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بأسيافنا فنزل معاوية فأرسل إلى الرجل فأدخله، فقال القوم: هلك الرجل ثم دخل الناس فوجدوا الرجل معه على السرير فقال معاوية للناس: إن هذا الرجل أحياني أحياه الله سمعت رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يقول: (سيكون أئمة من بعدي يقولون ولا يرد عليهم يتقاحمون في النار كما تتقاحم القردة) [قال الهيثمي: رجاله ثقات] وإني تكلمت أول جمعة فلم يرد علي أحد فخشيت أن أكون منهم ثم تكلمت في الجمعة الثانية فلم يرد علي أحد فقلت في نفسي إني من القوم ثم تكلمت في الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فرد علي فأحياني أحياه الله.

** قال الليث: حدثني علوان بن صالح بن كيسان أن معاوية قدم المدينة أول حجة حجها بعد اجتماع الناس عليه، فلقيه الحسن والحسين ورجال من قريش، فتوجه إلى دار عثمان بن عفان، فلما دنا إلى باب الدار صاحت عائشة بنت عثمان وندبت أباها، فقال معاوية لمن معه: انصرفوا إلى منازلكم فإن لي حاجة في هذه الدار، فانصرفوا ودخل فسكّن عائشة بن عثمان، وأمرها بالكف وقال لها: يا بنت أخي إن الناس أعطونا سلطاننا فأظهرنا لهم حلما تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، فبعناهم هذا بهذا، وباعونا هذا بهذا، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا منا شحوا علينا بحقنا وغمطناهم بحقهم، ومع كل إنسان منهم شيعته، وهو يرى مكان شيعته، فإن نكثناهم

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

نكثوا بنا، ثم لا ندري أتكون لنا الدائرة أم علينا ؟ وأن تكوني ابنة عثمان أمير المؤمنين أحب إلي أن تكوني أمة من إماء المسلمين، ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك.

** روى أبو داود الطيالسي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: وَفَدْنَا إِلَى مُعَاوِيَةَ مَعَ زِيَادٍ، وَمَعَنَا أَبُو بَكْرَةَ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم– أَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ، قَالَ: نَعَمْ، كَانَ نَبِيُّ اللهِ –صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم– تُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، وَيَسْأَلُ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُول الله –صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم– ذات يوم: (أَيُكُم رَأَى رُؤيَا؟)، فَقَالَ رَجُلٌ: أنا يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا، رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ وُزِنَ أَبُو بَكْرٍ بِعُمَرَ فَوَزَنَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ، ثُمَّ وُزِنَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ فَرَجَحَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ فَاسْتَاء لَهَا رَسُولُ اللهِ –صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم– ثُمَّ قَالَ: خِلاَفَةُ نُبُوَّةٍ ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ وَزَخَّ فِي أَقْفَائِنَا فَأُخْرِجْنَا، فَقَالَ زِيَادٌ لأَبِي بَكْرَةَ: مَا وَجَدْتَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم– حَدِيثًا تُحَدِّثُ بِهِ غَيْرَ هَذَا؟ فَقَالَ: وَاللهِ لاَ أُحَدِّثُهُ إِلاَّ بِهِ حَتَّى أُفَارِقَهُ، قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ زِيَادٌ يَطْلُبُ الإِذْنَ حَتَّى أُذِنَ لَنَا فَأُدْخِلْنَا فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: يَا أَبَا بَكْرَةَ، حَدِّثْنَا بِحَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم– أَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ أَيْضًا بِمِثْلِ حَدِيثِهِ الأَوَّلِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لاَ أَبَا لَكَ، تُخْبِرُنَا أَنْ نَكُونَ مُلُوكًا فَقَدْ رَضِينَا أَنْ نَكُونَ مُلُوكًا.

** يقول منير الغضبان: إن جو الحرية الذي مارسه المسلمون في ظل معاوية هو الذي هيأ المجال الخصب للطاقات الإسلامية أن تنمو وأن تبدع. وهيأ المناخ لمتابعة الفتوحات الإسلامية التي توقفت قرابة عشر سنين نتيجة الصراعات الداخلية والفتنة الكبيرة في الدولة الإسلامية.

ومعرفة معاوية بالرجال وحرصه على الكفاءات سد الطريق أمام المتسلقين والمتزلفين والمنافقين أن يكون لهم صولة في سلطانه حتى الشخصيات الكبيرة كان لا يغفر لها الهفوة والذلة إذا كانت تمس المبدأ والعقيدة. فعبد الرحمن بن خالد –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما– كان من أبرز الشخصيات بجوار معاوية في محنته. وكما رأينا معاوية مع أخيه

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عنبسة كيف يعزله عندما رأى عنصر التشفي والحقد هو الذي يحكمه. فها هو يعامل ابن خالد كذلك.

قال عبدُ الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة، لمُعاوية: أما واللّه لو كُنَّا بمكة على السواء، لعلمتَ! قال مُعاوية: إذاً كنتُ أكون مُعاوية بن أبي سفيان، مَنْزلي الأبْطح، يَنشقّ عنِّي سَيْلُه، وكنتَ عبدَ الرحمن بن خالد، منزلُك أَجياد، أعْلاه مَدَرَة، وأسفله عَذِرة.

** وفَخر مولى لزياد بزياد عند مُعاوية. فقال له معاوية: اسكت، فواللّه ما أدْرك صاحُبك شيئاً بسيفه إلا أدركتُ أكثرَ منه بلساني.

** أما ما يتعلق بالتوريث فقد أخطأ معاوية بلا شك، ولكنه خطأ لا ينال من مكانته فقد كان رأيه الخشية على الأمة من الفتنة والانقسام بعد ما عاش فتنة قتل عثمان –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وما حدث من قتال علي –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– ثم قتل علي ثم خلافة الحسن والانقسام.

فكان يرى أنه لابد من جمع الناس خشية تفتت الدولة، خاصة وقد فتح الله عليه بالجهاد في سبيل الله بلادا عديدة (٤٢ غزوة تمت في عهده حتى وصلت إلى أسوار القسطنطينية) واتسعت دولة الإسلام.

قال ابن كثير: وقد كان معاوية لما صالح الحسن عهد للحسن بالأمر من بعده، فلما مات الحسن قوي أمر يزيد عند معاوية، ورأى أنه لذلك أهلا، وذاك من شدة محبة الوالد لولده، ولما كان يتوسم فيه من النجابة الدنيوية، وسيما أولاد الملوك ومعرفتهم بالحروب وترتيب الملك والقيام بأبهته، وكان ظن أن لا يقوم أحد من أبناء الصحابة في هذا المعنى، ولهذا قال لعبد الله بن عمر فيما خاطبه به: إني خفت أن أذر الرعية من بعدي كالغنم المطيرة ليس لها راع، فقال له ابن عمر: إذا بايعه الناس كلهم بايعته ولو كان عبدا مجدع الأطراف.

أما من يتفلسفون بالليبرالية وحرية الشعب، فإن أوربا والعالم ظلت قرون عديدة تحكم بالملكية ولم نرى منهم نقدا لهم، ومازالت الملكية البريطانية تحكم ولها سلطات وتشمل الصلاحيات الملكية صلاحيات قبول تعيين رئيس الوزراء في جلسة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

خاصة تسمى جلسة تقبيل اليدين لا يتم الموافقة إلا بها وتعيين الوزراء وعزلهم، وتنظيم الخدمة المدنية، وإصدار جوازات السفر، وإعلان الحرب، وصنع السلام، وتوجيه أعمال الجيش، والتفاوض والتصديق على المعاهدات والتحالفات والاتفاقيات الدولية ولا يعترضون ولا تسمع لهم همسا لأنهم عبيد الغرب.

ولا يفوتني التأكيد على أن الشريعة الإسلامية تفرض على المسلمين الشورى في اختيار الحاكم والتفصيل يطول في اختيار الحاكم

ويقول منير الغضبان: ومن جهة ثانية فإمكانات الحكم ورجاله وسلاحه كلها متوفرة في الشام، وبنو أمية عصب الملك قد تمرسوا بمسئوليات الحكم، وخبروا أساليبه، وجمهور قاعدة الحكم من الجنود وأجهزة الدولة قد انصاعوا على الولاء لمعاوية – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، فأي تغيير جديد في هذه الأجهزة قد يعيد البلبلة والفوضى من جديد.

فلقد ذكر ابن دريد عن أبي حاتم عن العتبي قال: قال معاوية: "يأيها الناس! ما أنا بخيركم وإن منكم لمن هو خير مني، عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وغيرهما من الأفاضل، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية، وأنكاكم في عدوكم، وأدَرّكم حلبًا".

ولقد صدق الواقع حدس معاوية ونبوءته، فبعد هلاك يزيد ماذا كان الأمر؟ العراق والحجاز لعبد الله بن الزبير، والشام لعبد الملك بن مروان، ووقعت دماء وسالت أنهارا حتى انتصر عبد الملك على خصمه.

وتلك العراق التي أقضت مضجع الخلافة الإسلامية هي نفسها التي تعلن الثورة على يزيد، وتستدعي الحسين بن علي –رضي الله عنهما– ثم تقوده إلى الذبح متخلية عنه بعد أن منحوه قلوبهم وشهروا عليه سيوفهم.

وعندما دعي ابن الزبير –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– إلى أن يمضي إلى الشام رفض ذلك لأن أركان الحكم في الشام وجنوده وأعوانه لا يرتاح إليهم أولا ولا يمكن أن يخلصوا له من جهة ثانية

لقد تركز الملك ومفاهيمه في الشام، ولقد تبدل الكثير من أسس الخلافة الأولى التي كانت تربط الأمة بالمبدأ أكثر من ربطها بالشخص.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

هكذا آل الوضع وصدق معاوية حين قال: رضينا بها ملكا

** **والجمع بين معاوية وابنه يزيد بحكم واحد جهل وخلل في الفهم وظلم، فمعاوية صحابي جليل، يترضى عنه أهل السنَّة، بخلاف ابنه يزيد، فهو ليس صحابيّاً، وهو الذي في حكمه تم قتل الحسين –رضي الله عنه– ومن معه من أهله، وقد قال الله تعالى: {ولا تزر وازرة وزر أخرى}**

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

معاوية في عيون أئمة الأمة

** قال الإمام الذهبي: معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين، ملك الإسلام، أبو عبد الرحمن، القرشي، الأموي، المكي.

** قال عنه عبد الله بن عباس –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما–: ما رأيتُ رجلًا كان أخْلَقَ للمُلك من معاوية.

** عيَّنه عمر أميراً على الشام وكذلك كان أميراً في عهد عثمان رضي الله عنهم. قال الإمام الذهبي رحمه الله: حَسْبُكَ بِمَنْ يُؤَمِّرُهُ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ عَلَى إِقْلِيْمٍ –وَهُوَ ثَغْرٌ– فَيَضْبِطُهُ، وَيَقُوْمُ بِهِ أَتَمَّ قِيَامٍ، وَيُرْضِي النَّاسَ بِسَخَائِهِ وَحِلْمِهِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ تَأَلَّمَ مَرَّةً مِنْهُ، وَكَذَلِكَ فَلْيَكُنِ المَلِكُ. وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَيْرًا مِنْهُ بِكَثِيْرٍ، وَأَفْضَلَ، وَأَصْلَحَ، فَهَذَا الرَّجُلُ سَادَ وَسَاسَ العَالَمَ بِكَمَالِ عَقْلِهِ، وَفَرْطِ حِلْمِهِ، وَسَعَةِ نَفْسِهِ، وَقُوَّةِ دَهَائِهِ وَرَأْيِهِ.

** قال قبيصة بن جابر: ما رأيت أحدا أعظم حلما، ولا أكثر سؤددا، ولا أبعد أناة، ولا ألين مخرجا، ولا أرحب باعا بالمعروف من معاوية.

** عن عبد الله بن الزبير أنه قال: لله در ابن هند (يعني معاوية) إنا كنا لنفرقه [نخافه] وما الليث على براثنه بأجرأ منه، فيتفارق لنا، وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه فيتخادع لنا، والله لوددت أنا مُتّعنا به مادام في هذا الجبل حجر وأشار إلى أبي قبيس.

** سئل المعافي بن عمران: أيهما أفضل: معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟

فغضب وقال للسائل: أتجعل رجلا من الصحابة مثل رجل من التابعين؟ معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله.

** وسئل عبد الله بن المبارك رحمه الله أيهما أفضل: معاوية بن أبي سفيان، أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: والله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أفضل من عمر بألف مرة، صلَّى معاوية خلف رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقال: سمع الله لمن حمده، فقال معاوية: ربنا ولك الحمد، فما بعد هذا ؟.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** ذُكر عمر بن عبد العزيز وعدله عند الأعمش، فقال: فكيف لو أدركتم معاوية؟! قالوا: يا أبا محمد يعني في حلمه؟ قال: لا واللهِ بل في عدله

** وقال الضحاك بن قيس: إن معاوية كان عود العرب، وجدّ العرب، قطع الله عز وجل به الفتنة، وملكه على العباد، وفتح به البلاد.

** روى الإمام أحمد عن أَبي عَبْدِ رَبِّهِ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: (إِنَّ مَا بَقِيَ مِنْ الدُّنْيَا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ، وَإِنَّمَا مَثَلُ عَمَلِ أَحَدِكُمْ كَمَثَلِ الْوِعَاءِ إِذَا طَابَ أَعْلَاهُ طَابَ أَسْفَلُهُ، وَإِذَا خَبُثَ أَعْلَاهُ خَبُثَ أَسْفَلُهُ) إسناده حسن

** روى الإمام أحمد في كتاب الزهد عن علي بن أبي حملة عن أبيه قال: رأيت معاوية على المنبر بدمشق يخطب الناس وعليه ثوب مرقوع.

** وأخرج ابن كثير عن يونس بن ميسر الحميري الزاهد –وهو من شيوخ الأوزاعي– قال: رأيت معاوية في سوق دمشق وهو مردف وراءه وصيفاً، وعليه قميص مرقوع الجيب يسير في أسواق دمشق.

** قال سعد بن أبى وقاص –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب يعني معاوية.

** وعن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– أنه قال: ما رأيت رجلاً أخلق بالملك من معاوية.

** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أنه قال: ما رأيت أحداً أسود (من السيادة) من معاوية.

** وعن أبي الدرداء –رضي الله عنه– أنه قال لأهل الشام: ما رأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من إمامكم هذا (يعني معاوية).

** أخرج الطبراني عن سعيد المقبري، قال: قال عمر بن الخطاب: تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية!

** قال عمر بن الخطاب –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– لما ولاه الشام: لا تذكروا معاوية إلا بخير فإني سمعت رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يقول: (اللهم اهد به)

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** روى البخاري في الصحيح أنه قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة، قال: إنه فقيه.

** قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– لم يكن من ملوك الإسلام ملك خير من معاوية، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمن معاوية، إذا نسبت أيامه إلى من بعده.

** قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: واتفق العلماء أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة وهو أول الملوك،كان ملكه ملكاً ورحمة.

** يقول الأستاذ منير الغضبان في كتابه الرائع «معاوية بن أبي سفيان»: أنا أعتذر لمعاوية، لأني على ثقة أنه كان يقصد الحق، ولا يضيره بعد ذلك أن يكون أصاب الحق أم أخطأه.

أما أنه كان يعرف نفسه أنه على باطل ويقاتل عليه فهذا كلام مرفوض لأن رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– شهد للطائفتين أنهما يقصدان الحق، وعلي –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– والمسلمون معه أصابوه، ومعاوية –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– والمسلمون معه أخطؤوه. وذلك كما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ)

والحديث في رواية الإمام أحمد له تتمة قيمة ونصه: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ تَمْرُقُ بَيْنَهُمَا مَارِقَةٌ يَقْتُلُهَا أَوْلَاهُمَا بِالْحَقِّ)

والمارقة التي خرجت قد قاتلها علي –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وهم الخوارج.

والحديث الصحيح الذي ورد في مقتل عمار بن ياسر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: (يا عمار تقتلك الفئة الباغية) يؤكد أن الفئة الباغية هي فئة معاوية، ولكنه لا يعني أبدا أن معاوية والمسلمين معه يعرفون ذلك ويصرون على البغي.

وأعود لأقول ما قاله أهل السنة والجماعة في هذا الصدد في «كتاب العواصم من القواصم»:

أهل السنة المحمدية يدينون لله على أن عليًّا ومعاوية ومن معهما من أصحاب رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كانوا جميعًا من أهل الحق، وكانوا مخلصين في ذلك.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

والذي اختلفوا فيه إنما اختلفوا عن اجتهاد، كما يختلف المجتهدون في كل ما يختلفون فيه. وهم لإخلاصهم في اجتهادهم مثابون عليه في حالتي الإصابة والخطأ وثواب المصيب أضعاف ثواب المخطئ، وليس بعد رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– بشر معصوم عن أن يخطئ، وقد يخطئ بعضهم في أمور ويصيب في أخرى، وكذلك الآخرون، ومن مرق عن الحق في إثارة الفتنة الأولى على عثمان لا يعد من إحدى الطائفتين اللتين على الحق، وإن قاتل معها والتحق بها؛ لأن الذين تلوثت أيديهم ونياتهم وقلوبهم بالبغي الظالم على أمير المؤمنين عثمان –كائنًا من كانوا– استحقوا إقامة الحد الشرعي عليهم سواء استطاع ولي الأمر أن يقيم عليهم هذا الحد أو لم يستطع، وفي حالة عدم استطاعته فإن مواصلتهم تسعير القتال بين صالحي المسلمين كلما أحسوا منهم بالعزم على الإصلاح والتآخي –كما فعلوا في وقعة الجمل وبعدها– يعد إصرارًا منهم على الاستمرار في الإجرام ما داموا على ذلك.

فإن قلنا إن الطائفتين كانتا من أهل الحق فإنما نريد أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– الذين كانوا من الطائفتين ومن سار معهم على سنته –صلى الله عليه وآله وسلم– من التابعين، ونرى أن عليًّا المبشر بالجنة أعلى مقاما عند الله من معاوية خال المؤمنين وصاحب رسول الله رب العالمين، وكلاهما من أهل الخير وإذا اندس فيهم طوائف من أهل الشر فإن من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يَرَهُ.

** وفي حديث فيه ضعف رواه الإمام أحمد عن سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «تَوَضَّئُوا»، قَالَ: فَلَمَّا تَوَضَّأَ نَظَرَ إِلَيَّ، فَقَالَ: «يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ وُلِّيتَ أَمْرًا فَاتَّقِ اللَّهَ، وَاعْدِلْ»، قَالَ: فَمَا زِلْتُ أَظُنُّ أَنِّي مُبْتَلًى بِعَمَلٍ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى وُلِّيتُ

من كعلي ومعاوية رضي الله عنهما؟!

** محاولة ترجيح كفة صحابي على صحابي محاولة سيئة، (أسوء ما فيها أنها تضع أفضل أجيال الأمة بين أشداق السفلة، وتجرئ الجيل الحالي مع ضعفه العقدي؛ على

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الخوض في أعراض من رضي الله عنهم)؛ وهذا سوء مخيف؛ وعواقبه تصل إلى الجرأة على كل رموز ومقدسات الأمة!

** مَن كأبي الحسن والحسين (علي بن أبي طالب رضي الله عنه)، في بذله وعطائه وتضحيته وجهاده في سبيل ربه، الخليفة الراشد، والفقيه العابد، والإمام الزاهد؟ أسلم أولا، وصاحب ثانيا، وهاجر ثالثا، واستمر على العهد رابعًا وخمسا وسادسا، يكفي لفضله ذكر اسمه، لتأتي فضائله للأذهان تباعا تباعًا!

** ومَن كمعاوية الصحابي الجليل، والخليفة الموفق، والقائد المسدد، والرجل الذي اشتهر حلمه وعفوه، وطار في الآفاق خبر حنكته وفطنته؟

وصفه الإمام النووي بقوله: (وأما معاوية فهو من العدول الفضلاء، والصحابة النجباء)، وكان الرجل يقول لمعاوية: (واللهِ لتستقيمنَّ بنا يا معاويةُ، أو لنُقومنَّك)! وهو الخليفة الأعظم؛ فيقول: (بماذا؟)؛ فيقول: (بالخشب)! فيقول: (إذًا نستقيم)! وأخبار خلافته زاخرة بالعلم، واتساع رقعة الإسلام، والانتصار لكيان الأمة المسلمة!

** علي ومعاوية (رضي الله عنهما) صحابيان جليلان، عقيدتنا (أهل السنة والجماعة) فيهما؛ هي حبهما والترضي عنهما، والشهادة لهما بالعدالة، وعدم الغلو فيهما، أو ادعاء ما ليس لهما؛ فهما مع فضلهما ليس بنبيين، ولا بمعصومَين، ويجوز منهما الخطأ والصواب، لكن الخطأ منهما مغمور في بحار حسناتهما، ولا يجوز لنا الخوض فيما حصل بينهما، وندع ذلك لرب العالمين، نتمثل في حقهما وحق الصحابة أجمع: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [البقرة: ١٣٤]

** هذه عقيدتنا؛ فمن فارقها فارقناه، ومن خاض في عرض عليٍّ ومعاوية اتهمناه، ومن لمز وهمز في أحدهما كرهناه وأبغضناه؛ ذلك أنهما أحبَّا رسولَ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأحبهما، ومات -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو راضٍ عنهما، ونحن تبعٌ لنبي الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولا خير فينا إن لم نكن له تبعًا، ولرضاه نسعى رغبًا وطمعا.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

اللهم ارض عن علي ومعاوية وسائر صحابتك نبيك –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، واجمعنا بهم في جنات النعيم، وأسلم قلوبنا وألسنتنا لهم، ولا تجعلنا مع القوم الجاهلين، وجنبنا طرق الهالكين، واجعل سبيلنا سبيل عبادك المؤمنين العادلين.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

معاوية وساعات الرحيل

ها هو معاوية –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– يودع الرعيل الأول الذين كانوا رفاقه في الجهاد أو خصومه، فيرحلون واحدا تلو الآخر: عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عامر، وسعيد بن العاص، وزياد بن أبيه، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وها هي الأوجاع تترى على جسده الضعيف وقد غدا وله نيف وسبعون عاما.

وكانت أغرب رسالة وصلته من رجل من أهل المدينة ففضها فإذا فيها:

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا ... وَبَلِيَتْ مِنْ كِبَرٍ أَجْسَادُهَا

وَجَعَلَتْ أَسْقَامُهَا تَعْتَادُهَا ... تِلْكَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

فطوى الكتاب، وصمت هنيهة ثم قال: نعى إلي نفسي.

ورأي أنه غدا ثقيل الحركة، بطيء الخطى، فخرج إلى الناس، وصعد درج المنبر بصعوبة، وعيون المسلمين شاخصة إليه، وهم يرون آثار الجهد بادية على وجهه، فيعلو وجوههم الهم، وتبدو عليها مسحة الكآبة، وهاهم يستمعون إلى أمير المؤمنين ينعي إليهم نفسه، فيقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

"أَيُّهَا النَّاس: إِنَّ مَنْ زَرَعَ قَدِ اسْتَحْصَد، وَإِنِيِّ وَلِيتُكُمْ، وَلَنْ يَلِيَكُمْ أَحَدٌ مِنَ بَعْدِي إِلاَّ وَهُوَ شَر مِني، كَمَا كَانَ مَنْ قَبْلِي خَيراً مِني، وَيَا يَزِيد: إِذَا وَفى أَجَلِي فَوَلِّ غُسْلِيَ رَجلاً لَبِيباً؛ فَإِنَّ اللَّبِيبَ مِنَ اللهِ بمَكَان، ثمَّ اعْمِدْ إِلى مِنْدِيلٍ في الخِزَانَة فِيهِ ثَوْبٌ مِنْ ثِيَابِ النَّبيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَقُرَاضَةٌ مِنْ شَعَرِهِ وَأَظْفَارِهِ، فَاسْتَودِعِ القُرَاضَةَ أَنْفِي وَفَمِي وَأُذُني وَعَيْني، وَاجْعَلِ الثَّوْبَ عَلَى جِلْدِي دُونَ أَكْفَاني، يَا يَزِيد: احْفَظْ وَصِيَّةَ اللهِ في الوَالِدَيْن، فَإِذَا وَضَعْتُمُوني في حُفْرَتي، فَخَلُّواْ مُعَاوِيَةَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِين".

وغادر معاوية المسجد، وكان اللقاء الأخير له مع المسلمين في الشام، ودخل بيته، وكان البرد قد اشتد عليه فلبس ثوبا ثقيلا، فاغتم منه.

وَرَوَى شَيْخٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ جَمَاعَة عَلَيْهِ في مَرَضِه، فَرَأَواْ في جِلْدِهِ غُضُونَاً [أَيْ شُحُوبَاً] فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْد: فَهَلِ الدُّنيَا إِلاَّ مَا جَرَّبْنَا وَرَأَيْنَا؟ أَمَا وَاللهِ لَقَدِ اسْتَقْبَلْنَاهَا بِزَهْرَتِهَا، فَمَا لَبِثَتِ الدُّنيَا أَنْ نَقَضَتْ ذَلِكَ مِنَّا حَالاً بَعْد حَال،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وَعُرْوَةً بعْد عُرْوَة؛ فَأَصْبَحَتِ الدُّنيَا وَقَدْ وَتَرَتْنَا وَخَلَّفَتْنَا وَاسْتَلأَمَتْ إِلَيْنَا [أَيْ عَامَلَتْنَا بِلُؤْم]؛ أُفٍّ لِلدُّنيَا مِنْ دَار، ثُمُّ أُفٍّ لهَا مِنْ دَار"

ودنا أجل الملك المجاهد، فرمى ببصره بعيدا بعيد وراء الأفق، واستعاد شريط ذكرياته الطويل، وحصيلة سبعين عاما ونيفا انسلخت من عمره، ورأى تفاهة الدنيا وضآلة شأنها ماثلة بين عينيه، فقال:

تبا لك من دار، ملكتك أربعين سنة، عشرين أميرا، وعشرين خليفة، وهذا حالي فيك، ومصيري منك!! ثم تنهد، وقال بصوت متهدج: تبا للدنيا ومحبيها.

وقيل: لما حضرت معاوية بن أبي سفيان سكرات الموت، نزل من على كرسيه، وكشف البساط، ومرغ وجهه بالتراب، وقال: صدق الله: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود:١٥ – ١٦]

وقيل لَمَّا حَضَرَتْهُ –رَضِيَ اللهُ عَنهُ– الوَفَاةُ قَال: أَقْعِدُوني .. فَأُقْعِد، فَجَعَلَ يُسَبِّحُ اللهَ جَلَّ جَلاَلُهُ وَيَذْكُرُهُ ثُمَّ بَكَى وَقَال: "تَذكُرُ رَبَّكَ يَا معَاوِيَةُ بَعْدَ الهَرَمِ وَالاَنحِطَاط؟! أَلاَ كَانَ هَذَا وَغُصْنُ الشَّبَابِ غَضٌّ نَضِير؟!

ثُمَّ بَكَى حَتىَّ عَلاَ بُكَاؤُهُ وَقَال: يَا رَبِّ ارْحَمِ الشَّيْخَ العَاصِي، ذَا القَلْبِ القَاسِي، اللهُمَّ أَقِلِ العَثْرَةَ وَاغْفِرِ الزَّلَّةَ، وَعُدْ بحِلْمِكَ عَلَى مَنْ لاَ يَرْجُو غَيرَك، وَلَمْ يَثِقْ بِأَحَدٍ سِوَاك "

وقال أبو السائب المخزومي: لما حضرت معاوية الوفاة تمثل بقول الشاعر:

إن تُناقش يكن نقاشكَ يا ربُ عذاباً لا طوقَ لي بالعذابِ

أو تجاوز تجاوزَ العفوِ واصفحْ عن مسيءٍ ذنوبهُ كالترابِ

وقال محمد بن سيرين: جعل معاوية لما احتضر يضع خداً على الأرض ثم يقلب وجهه ويضع الخد الآخر ويبكي ويقول: اللهم إنك قلت في كتابك {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء:٤٨] اللهم فاجعلني فيمن تشاء أن تغفر له.

وقال العتبي عن أبيه: تمثل معاوية عند موته بقول بعضهم وهو في السياق:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

هو الموتُ لا منجا منَ الموتِ والذي نحاذرُ بعد الموتِ أدهى وأفظعُ

ثم قال: اللهم أقلِ العثرة، واعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرجَ غيرك، فإنك واسع المغفرة، ليس لذي خطيئة من خطيئته مهرب إلا إليك، ثم مات.

وقال غيره: أغمي عليه ثم أفاق فقال لأهله: اتقوا الله، فإن الله تعالى يقي من اتقاه، ولا يقي من لا يتقي، ثم مات رحمه الله.

وَقال محمَّدُ بْنُ عُقْبَة: "لَمَّا نَزَلَ بمعَاوِيَةَ المَوْتُ قَال: "يَا لَيْتَني كُنْتُ رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ أَرْعَى الغَنَمَ في شِعْبٍ مِنَ الشِّعَاب، وَأَنيِّ لَمْ أَلِ مِن أَمْرِ المُسْلِمِينَ شَيْئَا"

ولا خلاف أنه توفي بدمشق في رجب سنة ستين. وقال محمد بن إسحاق والشافعي: صلى عليه ابنه يزيد. وقال آخرون: بل كان ابنه يزيد غائباً فصلى عليه الضحاك بن قيس بعد صلاة الظهر بمسجد دمشق، ثم دفن بدار الإمارة وهي الخضراء، وقيل بمقابر باب الصغير، وعليه الجمهور والله أعلم، وكان عمره آنذاك ثمانية وسبعين سنة، وقيل جاوز الثمانين وهو الأشهر.

قال أبو زرعة قال سمعت أبا مسهر –أملاه علينا–: أن معاوية بويع سنة أربعين وهو عام الجماعة، فأقام عشرين سنة إلا شهراً.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عبد الملك بن مروان

** الخليفة عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

** بويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير، فلم تصح خلافته، وبقي متغلبا على مصر والشام، ثم العراق، إلى أن قتل ابن الزبير سنه ٧٣هـ، فصحت خلافته واستوثق له الأمر.

** وفي هذا العام هدم الحجاج الكعبة، وأعادها على ما هي عليه الآن، ودس على ابن عمر من طعنه بحربة مسمومة فمرض منها ومات

** وفي سنة أربع وسبعين سار الحجاج إلى المدينة، وأخذ يتعنت على أهلها، ويستخف ببقايا من فيها من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وختم في أعناقهم وأيديهم يذلهم بذلك، كأنس وجابر بن عبد الله وسهل بن سعد الساعدي فإنا لله وإنا إليه راجعون.

** وفي سنة خمس وسبعين حج بالناس عبد الملك الخليفة وسير الحجاج أميرا على العراق

** قال ابن سعد: كان عابدا زاهدا ناسكا بالمدينة قبل الخلافة.

** وقال يحيى الغساني: كان عبد الملك بن مروان كثيرا ما يجلس إلى أم الدرداء فقالت له مرة: بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطلاء بعد النسك والعبادة. قال: إي والله والدماء قد شربتها

** وقال نافع: لقد رأيت المدينة وما بها شاب أشد تشميرا ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان.

** وقال سحيم مولى أبي هريرة رضي الله عنه: دخل عبد الملك وهو شاب على أبي هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة: هذا يملك العرب.

** وقال عبيدة بن رياح الغساني: قالت أم الدرداء لعبد الملك: ما زلت أتخيل هذا الأمر فيك منذ رأيتك قال: وكيف ذاك؟ قالت: ما رأيت أحسن منك محدثا ولا أعلم منك مستمعا.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** وقال الشعبي: ما جالست أحدا إلا وجدت لي عليه الفضل إلا عبد الملك بن مروان فإني ما ذكرته حديثا إلا وزادني فيه ولا شعرا إلا وزادني فيه.

** وقال يحيى الغساني: لما نزل مسلم بن عقبة المدينة دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست إلى جنب عبد الملك فقال لي عبد الملك: أمن هذا الجيش أنت؟ قلت: نعم قال: ثكلتك أمك! أتدري إلى من تسير؟ إلى أول مولود ولد في الإسلام، وإلى ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى ابن ذات النطاقين، وإلى من حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما والله إن جئته نهارا وجدته صائما، ولئن جئته ليلا لتجدنه قائما، فلو أن أهل الأرض أطبقوا على قتله لأكبهم الله جميعا في النار، فلما صارت الخلافة إلى عبد الملك وجهنا مع الحجاج حتى قتلناه.

** وقال ابن أبي عائشة: أفضي الأمر إلى عبد الملك والمصحف في حجره فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك

** ولئن كان معاوية هو مؤسس الحكم الأموي وواضع سياسته، فإن عبد الملك بن مروان هو الذي نظمه وضبطه بتفاصيله وشعبه وتسلسله، فهو رجل الدولة الذي أقام الحكم الأموي على أسس تفصيلية منظمة

فما هي الصفات التي أهلته على هذا الأمر؟

شخصية عبد الملك شخصية غريبة، تبدو للناظر السريع متناقضة غير متساوية، فهو رجل قد غير حياته وقلبها من حال إلى حال حين ولي الخلافة، فقد كان قبلها متعبدا متهجدا، يصلي الظهر مع الإمام ثم لا يزال يصلي حتى تحل صلاة العصر، وكان فقيها عد من الفقهاء السبعة في المدينة.

أما بعد الخلافة فهو يتخذ السيف نصيرا له، ويخالف بعض الفروع الفقهية التي عرفها، ويبدو لي أنه كان ذا شخصية قوية جبارة، لا تقبل أن يكون لها مساو أو منافس، فهي سباقة إلى السيادة والتفوق، وهو لا يرضى أن يكون رجلا عاديا كغيره، بل يهدف إلى أن يكون فذل في زمانه وبيئته، وأرى أن هذا الطبع وتلك المؤهلات هي التي جعلته في المدينة يتخذ موقفه من العبادة بالشكل الذي رأينا، فقد أراد في محيط متعبد

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

متعلم متفقه أن يتفوق على غيره في ذلك كله من علوم وفقه وعبادة، وأن يكون سيدا فيما يتصف به ذلك المجتمع، وبما أن السيادة في المدينة كانت للمتعبدين والفقهاء، فوجب عليه أن يكون سباقا إلى العبادة والفقه ليكون سيدا فيهما.

وها هو ذا الآن يصبح خليفة، فتتغير بيئته، وتتغير مطالب البيئة وأهدافها، والمثل الأعلى للبيئة الجديدة هو السلطان والملك على طريقة القياصرة، فيجب عليه أن يكون فذا في السلطان، أي أن يصل بسيادته في الخلافة إلى أقصى ذروتها، وأقصى ذروة السيادة هو التسلط والاستبداد بحيث لا يقيد سلطانه شيء.

** معاوية –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– كان يشعر جلساؤه وقواده وولاته على الأقطار أن لهم الحرية في النقد والرأي والقول، أما عبد الملك فلا يشعرهم بشيء من ذلك، فهم بين يديه ليسيروا على هواه، وليقدم إليهم الأوامر فينفذوها، فما كان يسمح لجلساؤه أن يجتزئوا من سلطانه شيئا.

وقد نصح ابنه الوليد لما احتضر ودخل الوليد عليه فبكى، فقال له عبد الملك: "ما هذا؟ أتخن حنين الجارية والأمة، إذا مت فشمر واتزر، وألبس جلد النمر وضع الأمور عند أقرانها، وضع سيفك على عاتقك، فمن أبدى ذات نفسه فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه".

فالحكم إذن عنده يجب أن يقام على الإرهاب والسطوة لا على المداهنة والسياسة كما كان معاوية يفعل.

** قال مصعب بن عبد الله: أول من سمي في الإسلام عبد الملك، عبد الملك بن مروان

** قال يحيى بن بكير: سمعت مالكا يقول: أول من ضرب الدنانير عبد الملك، وكتب عليها القرآن، وقال مصعب: كتب عبد الملك على الدنانير: {قل هو الله أحد} وفي الوجه الآخر [لا إله إلا الله] وطوقه بطوق فضة وكتب فيه [ضرب بمدينة كذا] وكتب خارج الطوق [محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق]

** قال العسكري: وأول خليفة بخل عبد الملك، وكان يسمى «رشح الحجارة» لبخله ويكنى «أبا الذبان» لبخره

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

قال: وهو أول من غدر في الإسلام، وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء، وأول من نهى عن الأمر بالمعروف.

** **عن ابن الكلبي قال: كان مروان بن الحكم ولى العهد عمرو بن سعيد بن العاص بعد ابنه، فقتله عبد الملك، وكان قتله أول غدر في الإسلام.**

** **قال العسكري: وعبد الملك أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية، وأول من رفع يديه على المنبر**

** **قال السيوطي : فتمت له عشرة أوائل منها خمسة مذمومة**

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الوليد بن عبد الملك

المعروف عن العصر الأموي أنه عصر أقرب إلى روح البادية، وهذا ما يظنه ابن خلدون، وقد يكون ذلك صحيحا عن الجيل الثاني، أما الواقع الذي أخذ يظهر شيئا فشيئا في التاريخ، فهو أن الأمويين في الجيل الثالث قاموا بدور رائع في خدمة المدنية، على أن الزهر الذي زرعوه لم يتفتق كل التفتق في عصرهم، وظهر تفتقه في العصر العباسي، فاقتطفه العباسيون، فظن الناس أن العباسيين هم الذين وضعوا أصول الحضارة، أما الواقع فإن الأمويين هم الذين زرعوا تلك المدنية ثم تركوا لغيرهم حصادها، وقد عرفوا كيف يغرسون بذور هذه المدنية، وكيف ينشئون ذلك الزرع، وبلغ الزرع مداه واقتطفه العباسيون في أول دولتهم.

** والجيل الذي نتكلم عنه يبدأ عام ٨٠هـ وينتهي حوالي عام ١٢٠هـ، وقد تداول فيه على الحكم الأموي الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك وكلهم إخوة وأبناء عم، أي إنهم من جيل واحد، وكان عبد الملك هو الذي بدأ هذه النهضة، ودفع عجلة ذلك التقدم بوضعه أسس الدولة الأموية، وبتعريبه لها.

** قام الوليد بما عليه خير قيام، فكان يريد أن يعيد للإسلام مجده، فاتخذ لذلك وسائل، منها الفتوح لنشر الإسلام وإذاعته، ومنها العمارة والبناء والإنشاء.

وأول ما فكر فيه أن يجعل دمشق عاصمة حقيقية تهفو إليها الأنفس، عاصمة للإسلام، بل عاصمة للدنيا، فبنا فيها المسجد الأموي الجامع

** أنفق الوليد على المسجد الأموي خمسين صندوقا من الذهب، وقيل إنه أنفق خراج سبع سنين، وتهامس الناس أنه أنفق مال الأمة جميعا، فأجابهم بأنه لا يزال بين يديه في بيت المال خراج عشر سنين، وجمع له عشرة آلاف عامل، واتبع شكل البناء بالأقواس والأعمدة والقبب والأروقة والزخرف طراز الأبنية البيزنطية، لكن مخطط المسجد إسلامي. وجعل سقف المسجد من الرصاص، وحلي بالجواهر، وطلي الذهب على حيطان المسجد، ووضعت الفسيفساء على أعمدة المسجد، حتى بدا المسجد

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وهو يتلألأ من الذهب، وكأنه شعلة من نار متوقدة، وأصبح في دمشق معجزة من معجزات الفن المعماري بالعالم.

** ولم يقتصر الوليد على المسجد الأموي بل كتب إلى ولاته أن يوسعوا المساجد، ووسع بناء المسجد النبوي، وبنى المسجد الأقصى في القدس، وكان والده قد بنى مسجد الصخرة.

** وعمد الوليد إلى تحسين حال العاجزين، فأنشأ في دمشق بيماريستانا للجذامى، ووضع مع كل أعمى قائد يقوده، ووضع لكل مقعد خادما يخدمه، وأطلق الأموال للفقراء وحسن أحوال الناس.

وأهتم الوليد بالفقراء، فمنع التسول منعا باتا، وقال: إن في بيت مال المسلمين ما يكفيهم، وأطلق لهم المال منه، ونشط الاقتصاد، فأصلح الأراضي وأرسل إليه الحجاج البقر الوحشي الهندي لتغذية تلك الأراضي بالسماد، ولتطهيرها من الأعشاب الطفيلية.

** قال السيوطي عنه: أقام الجهاد في أيامه، وفتحت في خلافته فتوحات عظيمة، وكان مع ذلك يختن الأيتام ويرتب لهم المؤدبين ويرتب للزمني من يخدمهم وللأضراء من يقودهم، وعمر المسجد النبوي ووسعه، ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء، وحرم عليهم سؤال الناس وفرض لهم ما يكفيهم وضبط الأمور أتم ضبط.

** وجعل الحكم عربيا إسلاميا خالصا، فاستبعد من الإدارة غير العرب الذين كانوا عليها، كعائلة سرجون بن منصور.

** وفي سياسة الفتوح اختط سياسة أن تسير الجيوش في كل مكان، وهذه سياسة خطيرة، فالمعروف في الحروب أن المحارب يجب أن لا يفتح عدة جبهات في وقت واحد، لكن الإسلام كان يحمل سر نجاح هذه الفتوح، ونشاط الفاتحين كان قويا جدا يبهر الخصوم، ويجعلهم يلقون السلاح.

** ولنتصور امتداد الفتوح: إنها كانت متسعة الرقعة بشكل لا يقارب عدد الفاتحين، فالفتوح في عهد الوليد اتجهت نحو السند، ونحو ما وراء النهر، واتجهت في شمال الشام نحو القفقاس وأرمينية وبلاد الروم، واتجهت جحافل المسلمين نحو بلاد

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

المغرب ومنها إلى الأندلس، فكأن المسلمين كانوا لا يقصدون أن لا يقفوا بفتوحهم إلا حيث تعوقهم صحراء أو بحر أو مانع طبيعي.

والواقع أن معجزة الفتوح عادت مرة أخرى إلى الظهور في عصر الوليد بعد أن انقطعت جيلا من الناس.

** وأول من منع من ندائه باسمه: الوليد بن عبد الملك.

** قال الشعبي: كان أبواه يترفانه فشب بلا أدب

قال روح بن زنباع: دخلت يوما على عبد الملك، وهو مهموم، فقال: فكرت فيمن أوليه أمر العرب فلم أجده فقلت: أين أنت من الوليد؟ قال: إنه لا يحسن النحو، فسمع ذلك الوليد فقام من ساعته، وجمع أصحاب النحو، وجلس معهم في بيت ستة أشهر ثم خرج وهو أجهل مما كان، فقال عبد الملك: أما إنه قد أعذر

وقال أبو الزناد: كان الوليد لحانا قال على منبر المسجد النبوي: يا أهل المدينة

وقال أبو عكرمة الضبي: قرأ الوليد على المنبر يا ليتها كانت القاضية، وتحت المنبر عمر بن عبد العزيز وسليمان بن عبد الملك فقال سليمان: وددتها والله

** قال السيوطي: وكان الوليد جبارا ظالما، وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن شوذب قال: قال عمر بن عبد العزيز –وكان الوليد في الشام، والحجاج بالعراق، وعثمان بن جبارة بالحجاز، وقرة بن شريك بمصر–: امتلأت الأرض والله جورا

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

سليمان بن عبد الملك

يمكن اعتبار عصر سليمان بن عبد الملك مقدمة لعصر عمر بن عبد العزيز في التدين وتطبيق الشرع.

** قال عنه السيوطي: سليمان بن عبد الملك، أبو أيوب، كان من خيار ملوك بني أمية، وكان فصيحا مفوها مؤثرا للعدل محبا للغزو، ومن محاسنه: أن عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير فكان يمتثل أوامره في الخير، فعزل عمال الحجاج وأخرج من كان في سجن العراق، وأحيا الصلاة لأول مواقيتها، وكان بنو أمية أماتوها بالتأخير.

** قال ابن سيرين: يرحم الله سليمان! افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لمواقيتها، واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز.

** كان سليمان محبا للحياة حبا جما، مقبلا عليها، مغرورا بها ومغرورا بنفسه، وكان فتى من فتيان قريش بل سمي «فتى العرب» وكان جميل الصورة يقف أمام المرآة ويقول: "أنا فتى بني أمية" وكان في نفس الوقت متدينا، وكان ينهى عن الغناء.

** قال يحيى الغساني: نظر سليمان في المرآة فأعجبه شبابه وجماله فقال: كان محمد –صلى الله عليه وسلم– نبيا، وكان أبو بكر صديقا، وكان عمر فاروقا، وكان عثمان حييا، وكان معاوية حليما، وكان يزيد صبورا، وكان عبد الملك سائسا، وكان الوليد جبارا، وأنا الملك الشاب .. فما دار الشهر حتى مات.

** وكان من الأكلة المذكورين، أكل في مجلس سبعين رمانة وخروفا وست دجاجات ومكوك زبيب طائفي.

** ولفهم عصره يجب أن نرى اتجاه الوليد في سياسته نحو الخصوم، فقد كان يتنازع الوليد في سياسته عاملان:

- سياسة الحجاج العنيفة التي تريد قهر الخصوم وإذلالهم والجبروت عليهم
- وسياسة عمر بن عبد العزيز التي كانت تريد ائتلاف الناس والعدل والسيرة الحسنة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** وقد أرسل الوليد عمر بن عبد العزيز واليا على المدينة، فجمع عمر فقهاء المدينة العشرة، وجعلهم مجلس شوراه، وقال لهم: "الأمر لكم فأعينوني على ما أنا فيه". فسروا به وساعدوه، وسارت الأمور سيرا حسنا وساد العدل.

** وكان يأتي من العراق هاربون من جور الحجاج متوارون منه، يلجئون إلى عمر بن عبد العزيز وعدله، فكان يجيرهم ويتقون به شر الحجاج، فضاق به الحجاج ذرعا، وشدد الطلب على الوليد بأن يقيله من المدينة، واحتج بأنه يثير الناس على سياسته في العراق، وألح حتى أجاب الوليد إجابة ظاهرها في صالح عمر بن عبد العزيز، فقد استحضره إلى دمشق مستشارا له، وكان المستشار في ذلك الوقت بمثابة وزير، وأرسل بدلا منه خالد بن عبد الله القسري، فسار خالد على السياسة التي يتطلبها الحجاج. أما عمر بن عبد العزيز فكان يجتمع بالخليفة الوليد ويهدئ من جبروته، ويصلح من توجيهه، لكن الحجاج كان له بالمرصاد.

** إن أثر الأشخاص في التاريخ لا يعادل أثر الجماعات، لكن الحجاج من الأفراد النادرين في التاريخ الذين كانوا ذوي أثر لا يقل كثيرا عن أثر الجماعات، وإنا نستطيع أن نضعه في كفة مقابلة لكفة عمر بن الخطاب، فعمر بعدله أسس للعرب ملكا عضودا، وجعل الأعاجم يقبلون على العروبة ويدخلون في قبائلها، أما الحجاج فبظلمة وضع قنبلة تحت البنيان العربي أسهمت في إطاحته ونقضه.

** ومن حسن حظ عمر بن عبد العزيز أن الحجاج وقف ضد سليمان بن عبد الملك في عهد الوليد، وكان سليمان وليا للعهد، فحض الحجاج الوليد على خلعه وتولية ابنه مكانه، وحفظها سليمان على الحجاج، ومات الوليد قبل أن تنتزع الولاية من سليمان.

وهكذا أفضت الخلافة إلى سليمان، ونفسه مضطرمة على الحجاج، فوجد عمر سندا له في مخالفته لسياسة الحجاج، وزاد حقد سليمان على الحجاج أن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة –وكان واليا للحجاج على خراسان– على خلاف مع الحجاج، إذا عزله هذا عن ولايته وتتبعه، فلجأ يزيد إلى سليمان، وأثاره أكثر فأكثر على الحجاج، فاضطرم الخلاف بين الاثنين، لكن الحجاج توفي قبل أن يتولى سليمان، وكان يدعو الله تعالى بذلك، فاستجاب دعاءه.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** أقبل سليمان منذ أول يوم من خلافته على عمر بن عبد العزيز وقال له: "يا أبا حفص، إنا قد ولينا ما ترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به".

** أطلقت يد عمر بن عبد العزيز فقام بإصلاحات منها أنه أطلق الأسرى في العراق، وأخلى السجون، وأعاد الصلاة إلى أوقاتها، وكان بنو أمية يؤخرونها بعض التأخير عن أوقاتها، وأحسن معاملة عامة الناس، وتتبع الفساق.

حدث إذن اتجاه جديد في السياسة الأموية مع سليمان بن عبد الملك بأثر من عمر بن عبد العزيز، ذلك الاتجاه الذي سيأخذ حده الأقصى مع عمر نفسه.

** قال عبد الرحمن بن حسان الكناني: مات سليمان غازيا بدابق فلما مرض قال لرجاء بن حيوة: من لهذا الأمر بعدي؟ أستخلف ابني؟ قال ابنك غائب قال: فابني الآخر؟ قال: صغير قال: فمن ترى؟ قال: أرى أن تستخلف «عمر بن عبد العزيز» قال: أتخوف إخوتي لا يرضون. قال: تولي عمر، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، وتكتب كتابا، وتختم عليه وتدعوهم إلى بيعته مختوما. قال: لقد رأيت، فدعا بقرطاس، فكتب فيه العهد ودفعه إلى رجاء وقال: اخرج إلى الناس فليبايعوا على ما فيه مختوما. فخرج فقال: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب قالوا: ومن فيه؟ قال: هو مختوم، لا تخبروا بمن فيه حتى يموت؟ قالوا: لا نبايع. فرجع إليه فأخبره فقال: انطلق إلى صاحب الشرط والحرس فاجمع الناس ومرهم بالبيعة فمن أبى فاضرب عنقه. فبايعوا قال رجاء: فبينما أنا راجع إذا هشام بن عبد الملك فقال لي: يا رجاء قد علمت موقعك منا، وأن أمير المؤمنين قد صنع شيئا ما أدري ما هو؟ وإني تخوفت أن يكون قد أزالها عني، فإن يكن قد عدلها عني فأعلمني ما دام في الأمر نفس حتى أنظر فقلت سبحان الله! يستكتمني أمير المؤمنين أمرا أطلعك عليه؟ لا يكون ذلك أبدا، ثم لقيت عمر بن عبد العزيز فقال لي: يا رجاء إنه قد وقع في نفسي أمر كبير من هذا الرجل، أتخوف أن يكون قد جعلها إلي ولست أقوم بهذا الشأن، فأعلمني ما دام في الأمر نفس لعلي أتخلص منه ما دام حيا قلت: سبحان الله! يستكتمني أمير المؤمنين أمرا أطلعك عليه؟

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ثم مات سليمان وفتح الكتاب فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز فتغيرت وجوه بني عبد الملك فلما سمعوا "وبعده يزيد بن عبد الملك" تراجعوا، فأتوا عمر فسلموا عليه بالخلافة فعقر به فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضبعيه فدنوا به إلى المنبر وأصعدوه، فجلس طويلا لا يتكلم. فقال لهم رجاء: "ألا تقومون إلى أمير المؤمنين فتبايعوه" فبايعوه ومد يده إليهم

ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني لست بفارض ولكني منفذ، ولست بمبتدع ولكني متبع، وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن هم أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم، وإن هم أبوا فلست لكم بوال

ثم نزل فأتاه صاحب المراكب فقال: ما هذا؟ قال مركب الخليفة قال: لا حاجة لي فيه ائتوني بدابتي فأتوه بدابته وانطلق إلى منزله ثم دعا بدواة وكتب بيده إلى عمال الأمصار

قال رجاء: كنت أظن أنه سيضعف فلما رأيت صنعه في الكتاب علمت أنه سيقوى

** يروى أن مروان بن عبد الملك وقع بينه وبين سليمان في خلافته كلام، فقال له سليمان: يا بن اللخناء ففتح مروان فاه ليجيبه، فأمسك عمر بن عبد العزيز بفيه وقال: "أنشدك الله إمامك وأخوك وله السن" فسكت وقال: قتلتني والله لقد زدت في جوفي أحر من النار فما أمسى حتى مات.

** وأخرج ابن أبي الدنيا عن زياد بن عثمان أنه دخل على سليمان بن عبد الملك لما مات ابنه أيوب فقال يا أمير المؤمنين إن عبد الرحمن بن أبي بكر كان يقول: من أحب البقاء فليوطن نفسه على المصائب

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عمر بن عبد العزيز

في كتابه الماتع «الدولة الأموية» يقدم لنا د. يوسف العش رؤية تاريخية وتحليلية لعصر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، ورغم ما كتب عنه في القديم والحديث إلا أن هذه الرؤية اتسمت بالعمق الخالي من المحاباة لشخصية فذة مثل شخصية عمر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– والتي تؤثرك وتشدك رغما عنك، فهذا الرجل أحب الإسلام من شغاف قلبه فأحبه أهل الإسلام قاطبة في كل عصر ومصر، فرضي الله عن كل من زاد الإسلام عزا إلى عزه وعدلا إلى عدله، أولئك مصابيح الهدي ومنارات الدجى.

** اتجه التيار في الدولة الأموية في عهد الوليد وسليمان نحو التدين والأخذ بمظاهر الإسلام، لكن هذا السير لم يكن سريعا، وإن كان في تقدم مستمر.

** كان سليمان يعرف عمر معرفة جيدة، ولم يكن لابنه عند اقتراب أجله مجال في أن يتولى الخلافة بعده، فقد كان بعيدا في الحرب في القسطنطينية، فأشار عليه رجاء بن حيوة –ذلك العالم التقي النير– أن يودع دنياه بعمل صالح، وهو أن يولي المسلمين عمر بن عبد العزيز.

** استحسن سليمان هذه الفكرة وأحسن تطبيقها، فولاه العهد، وأرضى بني أمية بولاية العهد من بعده إلى يزيد بن عبد الملك، وكان بنو أمية حريصين على أن تبقى الخلافة في أولاد عبد الملك، فأبقاها وأرضاهم بذلك.

** كان عصر عمر بن عبد العزيز عصر رائع من عصور الإسلام، تتجلى فيه مظاهر العدل والحكمة والتقى والفهم والإدراك وحسن السياسة، وكان ناجحا سياسيا، لا يلقى معارضة بل تسير الأمور معه، كما تسير المياه في النهر الجاري، مع أن ما عمله من إصلاح يكاد يكون قلبا للدولة الأموية... نرى عصرا هادئا ساكنا خاليا من المعارضة، مع كثرة الجديد الذي فيه.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** ولنقارن بين عمر بن عبد العزيز وعبد الملك بن مروان، فقد كان عبد الملك طموحا غاية الطموح، يريد أن يتفوق كل التفوق أينما كان، وعمر بن عبد العزيز يشابهه في هذا، لكن على وجه آخر .. يذكر عن عبد الملك –إن صح ذلك– أنه لما بلغه خبر انتقال الخلافة إليه ودع المصحف الذي كان بين يديه لينطلق إلى الحكم، أما عمر فهو حين أتته الخلافة ازداد دينا وتقى، بل بلغ منه التقى ما لم يكن يظن فيه قبل الخلافة، وسيرته حين الخلافة هي سيرة الطهر الخالص الرقراق، أما قبل الخلافة فقد كان رجلا صالحا.

** كان أول أعمال عمر أنه رد إلى بيت المسلمين الأموال التي منحه إياها الخلفاء السابقون من بيت مال المسلمين، واضطر زوجته وهي بنت عبد الملك أن ترد حليها، على أنه لم يتعد في الحكمة والتروي، فهو كان يعرف طبيعة الناس، فلم يسترد منهم ما أخذوه من بيت مال المسلمين، على أنه بضرب المثل بنفسه استطاع أن يوقف البذخ في العطاء الذي اعتادوا عليه.

** حاول إصلاح أخطاء بني أمية والتي تتمثل في:

١/ ساروا على طريقة الحجاج في الانتقام من أعدائهم، وعدم التسامح معهم، فألبوا عليهم الأعداء من علويين وخوارج وموالي وعلماء.

٢/ استعملوا بيت المال لإرضاء رغباتهم يعطون منه من يشاءون، ويمنعون من يشاءون، فيدخل في المنع والعطاء ميل الخليفة ورغبته ونقمته وعدم رضاه، فيزداد الأعداء الناقمون، ويزداد الطمع والشره من الأصدقاء، وكان البذخ في عهد بني أمية أمرا عاديا.

** طالب عمر بن عبد العزيز بني أمية بالمظالم، والمظالم هي الأموال أو الأملاك التي وضعوا أيديهم عليها بغير حق، وقطع عن بني أمية كل عطاء لا يستحقونه من بيت المال، وسوى بين الناس في العطاء، بل أشرك في ديوان العطاء غير العرب من الذين دخلوا الإسلام وساروا للجهاد.

واستعاد عمر الفاتحين في آسيا الصغرى إلى الثغور، فهو كان يعد الفتح في بلاد الروم بلاء على المسلمين، ويعد الغاية منه إظهار البطولة دون فائدة كبيرة، والحصول على

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الغنائم والأسرى مقابل هدر كبير لدماء المسلمين، وهو كان يشفق على المسلمين، ولعله كان في ذهنه أن يرتب للفتح ترتيبا آخر.

أيا كان فقد استفاد من توقف الفتوح في هذه المنطقة، فبادل الأسرى، وكان يعطي مقابل الأسير المسلم عشرة من أسرى الروم، وطبيعي أن الأسرى من الروم كان عددهم أكبر بكثير من عدد أسرى المسلمين، والذي يهم عمر أن يعود أسرى المسلمين إلى ديارهم.

** وكان شفوقا رحيما يعطف على الضعفاء والمنكوبين، ويهمه أمر المسجونين، فأصلح السجون، وفرق بين سجون الرجال والنساء، وأجرى الجراية على المسجونين في أكلهم وما يحتاجون إليه، وأمر بألا يقيد مسجون في السجن، وألا يقتل إنسان بحد أو تقطع يداه ما لم يوافق الخليفة على ذلك، وكان عمال بني أمية يطبقون الحدود من عندهم فضيق بذلك حريتهم.

** وعمل الخانات في أقاصي بلاد الإسلام، يأوي إليها المسافرون يوما أو يومين، يرتاحون من عناء السفر، ويجدون غايتهم فيها.

** وتصدى لإصلاح خطأ بني أمية في عداوتهم لمن عاداهم، وأول ما فعل أنه قطع السب عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتألف قلوب الخوارج، وأسكتهم طيلة عصره، فلم يخرجوا عليه، وأرسلوا إليه وفدا فناظرهم وأقنعهم في أكثر النقاط، فسلموا له بأنه عادل.

** ونظر في الموالي، فعاملهم كما يقتضي الإسلام، لا يهتم أبدا بالدخل الذي يأتي من التشدد عليهم وإكراههم على العمل، وحط عنهم الضرائب التي كانوا يدفعونها، من ضرائب النيروز (هدايا تعطى في أول العام) ومن ضرائب الأيين (وهي تشبه ضرائب الجمارك) وغير ذلك من الضرائب التي كان يأخذها الولاة، فيستفيدون منها في ولايتهم، ولا تصل إلى بيت المال.

** وكان ينظر في كل شكاية ترد إليه، فقد فتح بابه للمظالم، ولم يكتف بما فعله عبد الملك بن مروان الذي أقام قاضيا للمظالم، بل قعد عمر بنفسه للمظالم، وبلغه بقعوده أشياء كثيرة فأصلحها. سواء منها ما كان للأفراد أو الجماعات.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** مثال ما أصلح بشأن الجماعات أن البربر أسلموا في عصر بني أمية، وكانت بناتهم مسترقة قبل الإسلام، وبقين في الرق بعده، فتظلموا إليه، فأمر أن تعاد إلى أهلهن البنات اللواتي لم يتزوجن، أو اللواتي لا يريد أسيادهن زواجهن.

** وأعطى لكل مسلم عربيا كان أو غير عربي الحرية في التنقل، يذهب أنى شاء، وكان الحجاج قد فرض على الموالي ألا يغادروا قراهم.

** وتظلم إليه أهل سمرقند، فقالوا: إن مدينتهم لم تفتح فتحا، وإنه ليس للمسلمين حق فيها، فأرسل إلى واليه ليقيم قاضيا ينظر في دعواهم، فوجد القاضي أن الحق مع أهل سمرقند، فكتب إلى الخليفة بذلك، وأشار عليه بأن العدل هو أن يخرج المسلمين من سمرقند، فأمر بأن يخرج المسلمين منها، لكن وجد أهل سمرقند أنه من الأفضل لهم أن يبقى المسلمين فيها.

ففي خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز –رحمه الله–، كان قتيبة بن مسلم الباهلي قد فتح الله على يديه مدينة سمرقند. افتتحها بدون أن يدعوَ أهلها للإسلام أو الجزية، ثم يمهلهم ثلاثاً كعادة شرع المسلمين، ثم يبدأ القتال.

فلما علم أهل سمرقند بأن هذا الأمر مخالف للإسلام كتب كهنتها رسالة إلى سلطان المسلمين في ذلك الوقت وهو عمر بن عبد العزيز عليه رحمة الله، أرسلوا بهذه الرسالة أحد أهل سمرقند .. يقول هذا الرسول:

أخذت أتنقّل من بلد إلى بلد أشهراً حتى وصلت إلى دمشق دار الخلافة فلما وصلت أخذت أتنقل في أحيائها وأُحدِّث نفسي بأن أسأل عن دار السلطان، فأخذت على نفسي إن نطقت باسم السلطان أن أؤخذ أخذاً، فلما رأيت أعظم بناءٍ في المدينة، دخلت إليه وإذا أناس يدخلون ويخرجون ويركعون ويسجدون، فقلت لأحدهم أهذه دار الوالي؟

قال: لا ، بل هذا هو المسجد.

قال: صليت؟ قال: قلت: وما صليت؟ ، قال: وما دينك؟

قال: على دين أهل سمرقند، فجعل يحدثني عن الإسلام حتى اعتنقته وشهدت بالشهادتين، ثم قلت له: أنا رجل غريب أريد السلطان دلّني عليه يرحمك الله؟

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

قال: أتعني أمير المؤمنين؟ قلت: نعم.

قال: اسلك ذلك الطريق حتى تصل إلى تلك الدار وأشار إلى دار من طين.

فقلت: أتهزأ بي؟

قال: لا ولكن اسلك هذا الطريق فتلك دار أمير المؤمنين إن كنت تريده.

قال: فذهبت واقتربت وإذا برجل يأخذ طيناً ويسدّ به ثُلمة في الدار وامرأة تناوله الطين، قال: فرجعت إلى الذي دلّني وقلت: أسألك عن دار أمير المؤمنين وتدلّني على طيّان! فقال: هو ذاك أمير المؤمنين.

قال: فطرقت الباب وذهبت المرأة وخرج الرجل فسلّم علي ورحّب بي وغسّل يديه، وقال: ما تريد؟ قلت: هذه رسالة من كهنة سمرقند فقرأها ثم قلبها فكتب على ظهرها، (من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى عامله في سمرقند أن انصب قاضياً ينظر فيما ذكروا)، ثم ختمها وناولنيها.

فانطلقت أقول: فلولا أني خشيت أن يكذبني أهل سمرقند لألقيتها في الطريق .. ماذا تفعل هذه الورقة؟! وهذه الكلمات في إخراج هذه الجيوش العرمرم وذلك القائد الذي دوّخ شرق الأرض برمتها؟!.

قال: وعدت بفضل الله مسلماً كلما دخلت بلداً صليت بمسجده وأكرمني أهله، فلما وصلت إلى سمرقند وقرأ الكهنة الرسالة فأظلمت عليهم الأرض وضاقت عليهم بما رحبت، وذهبوا بها إلى عامل عمر على سمرقند فنصّب لهم القاضي «جُمَيْع بن حاضر الباجي» لينظر في شكواهم، ثم اجتمعوا في يوم، وسألناه دعوانا فقلنا: اجتاحنا قتيبة، ولم يدعنا إلى الإسلام ويمهلنا لننظر في أمرنا.

فقال القاضي: لخليفة قتيبة وقد مات قتيبة – رحمه الله –: أنت ما تقول؟

قال: لقد كانت أرضهم خصبة وواسعة فخشي قتيبة إن أذنهم وأمهلهم أن يتحصنوا عليه.

قال القاضي: لقد خرجنا مجاهدين في سبيل الله وما خرجنا فاتحين للأرض أشراً وبطراً، ثم قضى القاضي بإخراج المسلمين على أن يؤذنهم القائد بعد ذلك وفقاً للمبادئ الإسلامية.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ما ظنّ أهل سمرقند أنّ تلك الكلمات ستفعل فعلها ما غربت شمس ذلك اليوم ورجل من الجيش الإسلامي في أرض سمرقند، خرج الجيش كله ودعوهم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال.

فلما رأى أهل سمرقند ما لا مثيل له في تاريخ البشرية من عدالة تنفذها الدولة على جيشها وقائدها، قالوا: هذه أمة حُكمُها رحمة ونعمة، فدخل أغلبهم في دين الله وفُرضت الجزية على الباقين.

** وشكى إليه النصارى في دمشق من أن الوليد بن عبد الملك قد نقض كنيستهم، وأقام على أنقاضها الجامع الأموي، مع أنها سجلت من حقهم حين فتح دمشق، فأجابهم إلى مطلبهم، وقال: ننقض جامعنا ونعيد كنيستهم، غير أنه ألفى أن المسلمين تركوا للنصارى كنيسة «توما» في الجهة الشرقية من دمشق مع أنها من حق المسلمين حين الفتح، فعزم على أن تنقض وأن يبنى مكانها جامع، وانتهى الأمر بأن قبل النصارى بأن يبقى المسجد الجامع في مكانه، وأن تبقى لهم كنيستهم في مكانها.

** أما مع العلويين فقد رد عليهم مظالمهم دون أن ينتظر تشكية منهم، وكان في يديه أرض فدك التي كانت لرسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وطلبتها منه ابنته فاطمة فلم يعطها إياها، وجاء أبو بكر فطلبتها فلم يشأ أن يغير أمرا قضاه الرسول لأن الأنبياء لا تورث، وكذلك فعل عمر، ثم انتقلت إلى مروان، فصار يتصرف فيها، وانتقل حق التصرف فيها إلى عمر بن عبد العزيز، فأعادها على النحو التي كانت فيه على عهد الرسول –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بمعنى أنه صار يوزع غلتها على بني هاشم.

** وتظلم إليه أهل نجران، وكانوا أصلا من اليمن، وكان الرسول –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قد وضع عليهم جزية ألفي حلة ليحتفظوا بدينهم النصراني، وتعهدوا مقابل ذلك ألا يتعاملوا بالربا، ولما تعاملوا به أخرجهم عمر بن الخطاب من اليمن، ونقلهم إلى النجرانية بأطراف الكوفة، وخف عددهم مع الزمن، وتقاسى عليهم الحجاج بصفة خاصة، فبعد أن كان الخلفاء قد أعفوهم من قسم من الجزية لنقصان عددهم، زاد عليهم الحجاج الضريبة، ولما تظلموا إلى عمر بن عبد العزيز أنقص الضريبة عنهم بمقدار نقصان عددهم.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وهكذا ساد العدل في عهد عمر بن عبد العزيز وأخذ كل ذي حق حقه
فرحمه الله عليه رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يزيد وهشام ابنا عبد الملك

يزيد بن عبد الملك

ما ينقضي حكم عمر بن عبد العزيز ويستولي يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١هـ، حتى يواجه العراق ثورة يخيل أنها تكاد تهد كيان الدولة الأموية.

فلقد قضت سياسة الحجاج بعزل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة عن خراسان، وكان عامله عليها، وحاول الحجاج نكبة هذا العامل المعزول، فهرب إلى الشام والتجأ إلى سليمان بن عبد الملك ليشفع له عند الوليد بن عبد الملك، وتجاوز الخليفة عنه بإلحاح من سليمان، بل وصل الإلحاح إلى حد أنه قيد ابنه داود مع يزيد بن المهلب وأسلمهما إلى الخليفة ليقتص من كليهما، إن ليس من سبيل للعفو عن يزيد بن المهلب.

ثم إن يزيد بن المهلب أقام في حاشية سليمان، فلما بويع سليمان خليفة عينه على العراق أولا ثم خراسان ثانيا، فقام بفتوح تباهى بها وبما أعطته من غنائم، فلما مات سليمان طالب عمر بن عبد العزيز بتقديم الغنائم التي ادعاها، فلم يستطع تقديمها، فحبسه عمر على عدم الوفاء بها، وكان يزيد بن المهلب قد تقاسى أثناء حكمه في العراق على رجال الحجاج وآله، فهدده يزيد بن عبد الملك بقطع عضو من جسمه إن ولي شيئا من الأمر، فأجاب ابن المهلب أن دون ذلك مائة ألف سيف.

ولما سمع يزيد بن المهلب وهو في السجن بمرض عمر بن عبد العزيز أو بوفاته هرب من السجن، وسار إلى البصرة حيث إخوته وبعض أهله وكان على البصرة عدي بن أرطأة، فاجتمع أتباع يزيد عليه وخلعوه وسجنوه.

ومما ساعد على استفحال ثورته أن أهل العراق ارتاحوا خلال خلافة سليمان وعمر بن عبد العزيز من الحجاج وظلمه وسياسته، وكانوا يخشون عودة تلك السياسة ويزيد بن عبد الملك كان حريا بالعودة إليها، فهو كان متزوجا من بنت أخت الحجاج، وكان متعصبا لآل الحجاج.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فترسخت قناعة أن يزيد بن عبد الملك الملقب بيزيد الثاني حري بأن يفعل كما فعل جده من أمه يزيد بن معاوية (يزيد الأول) الذي هتك حرمة المدينة.

لكن الثورة باءت بالفشل، فما كاد مسلمة بن عبد الملك وعثمان بن الوليد اللذان أرسلهما يزيد بن عبد الملك لإخماد الثورة يلتقيان بجيش يزيد بن المهلب في عقر داره حتى تخاذل جيش الثوار ولم يحارب منه إلا شيعة المهلب المخلصون وهم قلائل.

** كان يزيد بن عبد الملك يشبه جده من أمه يزيد الأول ابن معاوية بن أبي سفيان في كسله واستهتاره، بل هو يتفوق عليه في ذلك،

كان فتى يحب العبث وينطلق إلى اللهو، وقد غادر دمشق إلى البادية، فقعد في قصر فيها، ويقال إنه ترك أموره إلى جارية كان يعشقها اسمها «حبابة» فكان من يريد أن يحصل على شيء منه حصل عليه بواسطتها.

** ولقد خالف سياسة عمر في التقشف، وعاد بنو أميه إلى طمعهم في المال والعطاء، فكان يزيد حريا أن يرضيهم في طمعهم، وعمد إلى إرضاء نفسه وإرضاء من حوله، وسار مع تفاهة طبعه، وشره من حوله، فقضى غير قاصد على الإصلاح الذي قام به سلفه العظيم.

** وما مضى أمد يسير حتى أخذ بعض عماله يقسون على الموالي، ويطلبون الجزية ممن أسلموا جديدا، فعلت الشكوى ثانية، بل اتخذت في المغرب شكل الثورة على عامله يزيد بن أبي مسلم، فقتله البربر وأعلنوا أنهم لا يقصدون الخروج على الخليفة بذلك، فسكت الخليفة على ثورتهم وظهر بمظهر المقر لها، وعاد الخوارج إلى الثورة في العراق، ولقي عمال بني أمية الأمرين من شوذب الخارجي.

** أما الفتوح فلم تكن موفقة في عهده، فقد هزم المسلمون في بلاد القوقاز أولا، ولولا مهارة الجراح بن عبد الله الحكمي وحسن قيادته لغلبوا مرة أخرى، واستمرت خلافة يزيد حتى سنة ١٠٥هـ، ، ومات حزنا على جاريته حبابة

هشام بن عبد الملك

** كانت خلافته عشرين عاما.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** كان هشام رجلا منظما واضح الرأي والفكر، يدرس المسائل دراسة طويلة، وكان حازما ذا سيطرة وقوة، على أنه لم يكن من الجبابرة والمتكبرين والمتعجرفين، لكن هشام لم يكن رجلا عبقريا، فهو لم يحاول أن يحدث شيئا جديدا في الدولة ينسب إليه، ولم تكن له سياسة مخططة عميقة، يحققها على سير الأيام، كان همه الإدارة والمال، ومج الفتوح وضبط الأمور، لا الخلق والإبداع.

** لم يكن هشام دون عمر بن عبد العزيز كثيرا في التدين، بل كان تقيا متعبدا حريصا على الإسلام والسنة، يحارب البدعة أشد حرب، لكنه ليس كعمر بن عبد العزيز يعتبر التدين مسئولية نحو الناس، كان دينه عبادة عبادة وتقى لكنه أمرا شخصيا، ولم يكن تدينه خلقيا اجتماعيا، فهو في علاقته بالأفراد ليس ورعا، وهو في علاقته بالمادة خاصة قليل الورع. فالحكم عنده سياسة أكثر منه دين، وهو عنده سياسة مالية بالأخص، فعمر ما كان يهتم بالمال ولا بإغناء بيت المال، أما هو فهمه منصب إلى بيت المال، يود أن يكون مكتظا غنيا.

** نقل مقر إقامته من دمشق إلى الرصافة على نهر الفرات، خوفا من الطاعون الذي كان يغزو دمشق من حين إلى آخر، واهتم بتنظيم دواوينه فكانت في غاية الإتقان، وكان قليل الاستقبال للناس ورؤيتهم، يعتمد على دواوينه في تسير سياسته، ومستشاره المعتمد الأبرش الكلبي وهو الذي يتعامل مع الناس، واهتم هشام بالعلم وأكرم العلماء كالزهري وأبي الزناد وغيرهما.

** كان واليه على العراق خالد بن عبد الله القسري، وهو الذي كان بعثه الوليد بن عبد الملك مكان عمر بن عبد العزيز عاملا على مكة والمدينة مستجيبا إلى طلب الحجاج في منع الفارين من الالتجاء إلى الحجاز والتواري عن ناظريه، ولقد قام خالد حق القيام بما عهد إليه من ذلك، فجعل أصحاب المنازل مسئولين عمن يلجأ إليهم من الفارين، فاستتب الأمر للحجاج، واطمأن باله، وكان إداري نشيط عمراني، جلب الماء لمكة، وأحدث إصلاحات في مدن أخرى، وظهر دهاؤه، فوجد فيه هشام ضالته، وهو من بجيلة، وهي قبيلة لا عصبية لها، وقد أضاعت مجدها في الجاهلية وتردت في النسيان.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

كان خالد حريا أن ينجح في العراق، وأن يلم الشعث، وبدهائه وحسن خطابه أسهم في جعل العراق ينعم بفترة راحة وأمان مدة استغرقت ١٥ سنة

** انكب خالد على إصلاح الأراضي والزراعة بالعراق، ووفق في عمله خير توفيق، وضم قسما من الأرض البوار التي أحياها لنفسه إلا أنه ما كان يدخر من غلتها الكثير فقد كان يوزع المال على أتباعه وحواشيه والناس، فيلقى الداعين له والراضين عنه، وكان يوافي هشام في كل عام بخراج كبير ومال وفير.

** لكن خالد كان له نقطة ضعف، فقد كانت والدته نصرانية، فصار خالد يعطف على النصارى، ويعينهم في المناصب الإدارية، ويأذن لهم ببناء الكنائس، واستفاد خصومه من هذا، فادعوا أنه لا يحترم الإسلام، ورووا عنه أقوالا فيها استخفاف بالدين، فاوغروا صدر الخليفة عليه، حتى استبد خالد بالعراق، فصار يستخدم سلطانه لاستغلال الناس، فكان يؤخر بيع محصوله من الغلال، فتعلو الأسعار فيضج الناس، وكان المهندس الذي كان يشرف على عمليات الإصلاح حيان النبطي، واستطاع خصوم خالد أن يجروا حيان إلى طرفهم، فكان لهم في ذلك كسب كبير، إذ إن حيان كان في يده حساب غلات خالد، وكان يعرف تصرفاته، فلما نمت تلك الأخبار لهشام عزله وولي مكانه رجلا قويا هو ابن الوالي السابق يوسف بن عمر بن هبيرة وكان والي هشام على اليمن، فجاء إلى العراق متسللا، وضم إليه خصوم خالد، وألقى القبض عليه وأخذ يحاكمه ليستخرج الأموال التي جمعها، لكنه لم يجد معه إلا الشيء اليسير فأطلق سراحه، فسار خالد إلى الشام ليستعيد مكانته عند الخليفة لكن الخليفة أهمله. لكن العراق الذي هدأ مع خالد القسري ثار في ولاية يوسف بن عمر بن هبيرة، وقد يعزى هذا إلى دهاء خالد وحماقة ابن هبيرة.

** وتولى بعد هشام الوليد بن يزيد وكان مستهترا مقبلا على اللذات خاصة الخمر والنساء، حتى بدد أموال الدولة، وأدت حاجته إلى الماء إلى الوقوع في أخطاء سياسية كبيرة منها تسليم خالد بن عبد الله القسري لخصمه اللدود عامل العراق يوسف بن عمر بن هبيرة نظير مبلغ كبير من المال فعذبه ثم قتله.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** ثم تولى يزيد بن الوليد (يزيد الثالث) وأرسل منصور بن جمهور عاملا له على العراق بدلا من يوسف بن عمر بن هبيرة الذي ألقي القبض عليه وهزئ به وعذب، لكن لم تدم خلافة يزيد الثالث سوى ستة أشهر ومات.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عمرو بن العاص

الأمير المجاهد

في سفره النفيس «عمرو بن العاص الأمير المجاهد» يعيش الكاتب د. منير الغضبان في أجواء صادقة يصف خلالها سيرة هذا الطود الشامخ من صحابة النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الكرام، ويتصدر الكتاب بتلك المقولة الواقعية التي تلخص حجم المؤامرة التاريخية على هذا الأمير المجاهد حيث يقول: ما إن تذكر عمرا حتى يتبادر إلى الناس ذلك الخادع المحتال الذي خدع أبا موسى الأشعري ونقض اتفاقه معه وأبقى بمعاوية وخلع عليا، وبذلك ينصرف عامة الناس عن ذكر عمرو بن العاص.
فهل يجوز لمثل هذه الشخصية العظيمة أن تبقى غُفلا في التاريخ لا يعرف عنها إلا المكر والخديعة؟!.

** قال عمر بن الخطاب عن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما–: "ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميرا".
وما قال هذا إلا أن عمرو من الوسامة والجمال والجسم الممتلئ والقامة المتسقة مثل أبيه العاص بن وائل .. قال ذاخر المعافري: قام عمرو بن العاص على المنبر فرأيت رجلا ربعة قصير القامة وافر الهامة أدعج [أسود العينين] أبلج [مضيء مشرق] عليه ثياب موشية كأن بها العقيان [الذهب الخالص] تأتلق عليه وعليه حلة وعمامة وجبة.
** قال عثمان بن عفان: "إن عمرو لمجرأ وفيه أقدام وحب للإمارة".
** قال الليث بن سعد: "قال عمرو بن العاص: ما كنت بشيء أتجر مني بالحرب".
** وقال عمرو يصف موقعه عند رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "فوالله ما عدل بي رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وبخالد بن الوليد أحدا من أصحابه في أمر حزبه منذ أسلمنا، وقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة، لقد كنت عند عمر بتلك الحالة، وكان عمر على خالد كالعاتب".

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** ويقول الصديق لعمر –رضي الله عنهما–: "دعه فإنما ولاه رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– علينا لعلمه بالحرب".

** قال ابن حجر في الإصابة عن يحيى بن بكير عن الليث: توفي وهو بن تسعين سنة. قلت قد عاش بعد عمر عشرين سنة. وقال العجلي: عاش تسعا وتسعين سنة، وكان عمر عُمَر ثلاثا وستين. وقد ذكروا أنه كان يقول: أذكر ليلة ولد عمر بن الخطاب أخرجه البيهقي بسند منقطع فكأن عمره لما ولد عمر سبع سنين.

** أبوه العاص بن وائل السهمي زعيم من زعماء قريش في الجاهلية، وقاد بني سهم في حرب الفجار، وكان عمر عمرو عشر سنين، أما أمه فكانت من سبايا العرب.

** وذكر أنه جُعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه وهو على المنبر فسأله، فقال: أمي سلمى بنت حرملة تلقب النابغة من بني عنزة أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت فأنجبت فإن كان جُعل لك شيء فخذه.

** إسلامه كان سنة ثمان للهجرة مع عثمان بن طلحة [هو حاجب الكعبة]، ولما رآهم النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها)

** قيل لعمرو بن العاص ما أبطأ بك عن الإسلام وأنت أنت في عقلك؟ فقال: إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم وسن توازى حلومهم الجبال، ما سلكوا فجا فتبعناهم إلا وجدناه سهلا، فلما أنكروا على النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أنكرنا معهم ولم نفكر في أمرنا وقلدناهم، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا في أمر النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وتدبرنا فإذا الأمر بيّن، فوقع في قلبي الإسلام، فعرفت قريش ذلك في إبطائي عما كنت أسرع فيه من عونهم على أمرهم، فبعثوا إلي فتى منهم فقال أبا عبد الله إن قومك قد ظنوا بك الميل إلى محمد. فقلت له: يا ابن أخي إن كنت تحب أن تعلم ما عندي فموعدك الظل من حراء فالتقينا هناك فقلت إني أنشدك الله الذي هو ربك ورب من قبلك ومن بعدك أنحن أهدى أم فارس والروم؟ قال: اللهم بل نحن. فقلت: أفنحن أوسع معاشا وأعظم ملكا أم فارس والروم؟ قال: بل فارس والروم. قلت: فما ينفعنا فضلنا عليهم في الهدى إن لم تكن إلا هذه الدنيا وهم فيها أكثر منا أمرا، قد وقع في

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

نفسي أن ما يقول محمد من البعث بعد الموت حق ليجزى المحسن في الآخرة بإحسانه والمسيء بإساءته، هذا يا ابن أخي الذي وقع في نفسي ولا خير في التمادي في الباطل.

لقد كان هذا الأمر بالتأكيد بعد الخندق وبعد التخلف عن الحديبية وبعد الاعتزال في أرضه ومزرعته بالوهط التي بذل جل ماله في اقتنائها وتحسينها.

** وروى البيهقي بسنده إلى زيد بن أسلم قال: قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص: لقد عجبت لك في ذهنك وعقلك، كيف لم تكن من المهاجرين الأولين؟ فقال له عمرو: وما أعجبك يا عمر من رجل قلبه بيد غيره لا يستقيم –أو قال لا يستطيع– التخلص منه إلا إلى ما أراد الذي بيده. فقال عمر: صدقت

** قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو .. يكنى أبا عبد الله، أمه النابغة من بني عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار، كان يخضب بالسواد، خرج إلى الحبشة إلى النجاشي بعد الأحزاب فأسلم عنده بالحبشة، فأخذه أصحابه بالحبشة فغموه فأفلت منهم مجردا ليس عليه قشرة، فأظهر للنجاشي إسلامه فاسترجع من أصحابه جميع ماله ورده عليه، فقدم هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة مهاجرين المدينة إلى رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فتقدم خالد فبايع ثم تقدم هو فبايعه على أن يغفر له ما كان قبله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الهجرة والإسلام يجب ما قبله*.

** أخرج أحمد وغيره من حديث عمرو بن العاص يقول: فزع الناس بالمدينة مع النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فتفرقوا، فرأيت سالماً احتبى سيفه فجلس في المسجد، فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذي فعل، فخرج رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فرآني وسالماً وأتى الناس فقال: (أيها الناس ألا كان مفزعكم إلى الله ورسوله؟ ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان؟) وهذا إسناد صحيح... وهذه مرة يشهد له –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بالإيمان.

** روى أحمد من حديث عَلْقَمَةَ بْنِ رِمْثَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي سَرِيَّةٍ

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وَخَرَجْنَا مَعَهُ، فَنَعَسَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–. فَقَالَ: (يَرْحَمُ اللهُ عمرًا) قَالَ: فَتَذَاكَرْنَا كُلَّ مَنِ اسْمُهُ عَمْرٌو، قَالَ: فَنَعَسَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: (يَرْحَمُ اللهُ عَمْرًا) قَالَ: ثُمَّ نَعَسَ الثَّالِثَةَ، فَاسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: (يَرْحَمُ اللهُ عَمْرًا) فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ عَمْرٌو هَذَا؟ قَالَ: (عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) قُلْنَا: وَمَا شَأْنُهُ؟ قَالَ: (كُنْتُ إِذَا نَدَبْتُ النَّاسَ إِلَى الصَّدَقَةِ، جَاءَ فَأَجْزَلَ مِنْهَا، فَأَقُولُ: يَا عَمْرُو، أَنَّى لَكَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ عِنْدِ اللهِ. وَصَدَقَ عَمْرٌو، إِنَّ لَهُ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا كَثِيرًا).

** روى أحمد عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ لَا أُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– شَيْئًا إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (إِنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ صَالِحِي قُرَيْشٍ) قَالَ وَزَادَ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ وَرْدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ طَلْحَةَ قَالَ: (نِعْمَ أَهْلُ الْبَيْتِ عَبْدُ اللَّهِ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ).

** وروى أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: (ابْنَا الْعَاصِ مُؤْمِنَانِ عَمْرٌو وَهِشَامٌ) .. وهذه مرة ثانية يشهد له –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بالإيمان.

وهشام كان قد سبق عمرا بالإسلام، وهاجر إلى الحبشة، واستشهد باليرموك، لكن عمرا –رضي الله عنه– لنفاسة معدنه لحق بأخيه، وإن كان دائما يفضل أخاه عليه .. فعن محمد بن الأسود بن خلف قال: كنا جلوسا في الحجر في أناس من قريش إذ قيل: قدم الليلة عمرو بن العاص قال: فما أكثرنا أن دخل علينا فمددنا إليه أبصارنا فطاف ثم صلى في الحجر ركعتين وقال: أقرصتموني؟ قلنا: ما ذكرناك إلا بخير ذكرناك وهشام بن العاص فقلنا: أيهما أفضل؟ قال بعضهم: هذا وقال بعضنا: هشام. قال: أنا أخبركم عن ذلك، أسلمنا وأحببنا رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وناصحناه ثم ذكر يوم اليرموك فقال: أخذت بعمود الفسطاط ثم اغتسلت وتحنطت ثم تكفنت فعرضنا أنفسنا على الله –عز وجل– فقبله فهو خير مني – يقولها ثلاثا –

وفي رواية أخرى يتحدث عمرو عن فضائل أخيه فيقول: أسلم قبلي، وأمة بنت هاشم بن المغيرة وأمي سبية، وكان أحب إلى أبيه مني، وتعرفون فراسة الوالد.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** وروى أحمد عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: (أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ)

** قال عنه الذهبي: "عمرو بن العاص بن وائل، الإمام أبو عبد الله، ويقال أبو محمد السهمي، داهية قريش، ورجل العالم، ومن يضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم"

** روى مجالد عن الشعبي أنه قال:" دهاة العرب أربعة: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه، فأما معاوية فللأناة والحلم، وأما عمرو فللمعضلات، وأما المغيرة فللمبادهة، وأما زياد فللصغير والكبير".

** عن شعيب بن يعقوب قال اجتمع معاوية وعمرو بن العاص، فقال معاوية لعمرو: من الناس؟ قال أنا وأنت ومغيرة وزياد. قال وكيف ذاك؟ قال أما أنت فللتأني، وأما أنا فللبديهة، وأما مغيرة فللمعضلات، وأما زياد فللصغير والكبير. قال له معاوية: أما ذانك فقد غابا، فهات قولك أنا للبديهة، وأما أنا فللأناة فهات بديهتك. قال: وتريد ذاك؟ قال: نعم. قال: فأخرج من عندك، فأمرهم فخرجوا حتى لم يبق في البيت غيرهما. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين أسارك، قال: فأدنى رأسه منه. قال: هذا من ذاك ومن معنا في البيت حتى أسارك ؟؟!!

** ويتجاوز عمرو –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– بيئته وقومه العرب لينازل دهاة العالم كما قال عمر بن الخطاب –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– يوم وجهه لفتح فلسطين، وكان فيها داهيتها الرهيب «الأرطبون» وكان الأرطبون أدهى الروم وأبعدها غورا وأنكاها فعلا، وقد كان وضع في الرملة جندا عظيما، وبإيلياء جندا عظيما وكتب عمرو إلى عمر بالخبر، فلما جاءه كتاب عمرو قال: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب فنظروا عما تنفرج.

ونفذ عمرو خدعته بالأرطبون حيث تنكر باسم أحد جنوده رسولا إليه، وأدرك الأرطبون بدهائه أن الذي بين يديه عمرو أو من يثق به عمرو، فبيت قتله، وتمكن عمرو من النجاة من الأرطبون بحيلته العجيبة حين أوهمه أنه سيأتي بعشر رجال مثله، وعندما بلغت الحيلة الأرطبون قال: خدعني الرجل، هذا أدهى الخلق. فبلغت عمر فقال: غلبه عمرو لله در عمرو.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** وروي أن عمرو بن العاص دخل على عمر بن الخطاب –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما–، وهو على مائدته جاثياً على ركبتيه، وأصحابه كلهم على تلك الحال، وليس في الجفنة فضل لأحد يجلس، فسلم عمرو على عمر، فرد عليه السلام، قال عمرو بن العاص؟ قال: نعم، فأدخل عمر يده في الثريد فملاها ثريداً ثم ناولها عمرو بن العاص، فقال: خذ هذا، فجلس عمرو، وجعل الثريد في يده اليسرى، ويأكل باليمنى، ووفد أهل مصر ينظرون إليه، فلما خرجوا، قال الوفد لعمرو: أي شيء صنعت؟!

فقال عمرو: إنه والله لقد علم أني بما قدمت به من مصر لغني عن الثريد الذي ناولني، ولكن أراد أن يختبرني، فلو لم أقبلها للقيت شراً.

** قال ابن الجوزي في المنتظم:

وفي هذه السنة –أي السنة العاشرة– أرسل رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عمرو بن العاص بعد رجوعه من الحج لأيام بقين من ذي الحجة إلى جيفر وعبد ابني الجلندي بعمان يدعوهما إلى الإسلام.

وكتب معه كتابًا إليهما وختم الكتاب، قال عمرو: فلما قدمت عمان عمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خُلقًا. فقلت: إني رسول رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إليك وإلى أخيك. فقال: أخي المقدم بالسرّ والملك، وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك. فمكثت أيامًا ببابه ثم إنه دعاني فدخلت عليه فدفعت إليه الكتاب مختومًا ففض خاتمه وقرأه حتى انتهى إلى آخرة ثم دفعه إلى أخيه فقرأه إلا أني رأيتَ أخاه أرق منه.

فقال: دعني يومي هذا وارجع إليّ غدا، فلما كان الغد رجعت إليه فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلًا ما في يدي. قلت: فإني خارج غدًا، فلما أيقن بمخرجي أصبح فأرسل إليّ فدخلت عليه فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعًا وصدقا بالنبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وخليا بينيِ وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عونأ على من خالفني، فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها في فقرائهم، ولم أزل مقيمًا بينهم حتى بلغنا وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ الأَشْعَرِيِّ، عَنْ رَابِّهِ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ، كَانَ خَلَفَ عَلَى أُمِّهِ بَعْدَ أَبِيهِ، كَانَ شَهِدَ طَاعُونَ عَمَوَاسَ، قَالَ: لَمَّا اشْتَعَلَ الْوَجَعُ قَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي النَّاسِ خَطِيبًا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْسِمَ لَهُ مِنْهُ حَظَّهُ.

قَالَ: فَطُعِنَ فَمَاتَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَاسْتُخْلِفَ عَلَى النَّاسِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَقَامَ خَطِيبًا بَعْدَهُ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ مُعَاذًا يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْسِمَ لآلِ مُعَاذٍ مِنْهُ حَظَّهُ، قَالَ: فَطُعِنَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ مُعَاذٍ فَمَاتَ، ثُمَّ قَامَ فَدَعَا رَبَّهُ لِنَفْسِهِ فَطُعِنَ فِي رَاحَتِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ يُقَبِّلُ ظَهْرَ كَفِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي فِيكِ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا، فَلَمَّا مَاتَ اسْتُخْلِفَ عَلَى النَّاسِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَقَامَ فِينَا خَطِيبًا، فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ إِذَا وَقَعَ إِنَّمَا يَشْتَعِلُ اشْتِعَالَ النَّارِ فَتَجَبَّلُوا مِنْهُ فِي الْجِبَالِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَبُو وَاثِلَةَ الْهُذَلِيُّ: كَذَبْتَ، وَاللَّهِ لَقَدْ صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَأَنْتَ شَرٌّ مِنْ حِمَارِي هَذَا.

قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرُدُّ عَلَيْكَ مَا تَقُولُ، وَأَيْمُ اللَّهِ لاَ نُقِيمُ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ، وَخَرَجَ النَّاسُ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَدَفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، مِنْ رَأْيِ عَمْرٍو فَوَاللَّهِ مَا كَرِهَهُ.

لقد كان عمرو –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– يتحدث عن جانب غير الجانب الذي يتحدث عنه الأميران العظيمان: أبو عبيدة ومعاذ بن جبل. وكان يؤرقه الوقوف استسلاما أمام امتداد الطاعون ونهشه في الأمة، وكان رأي عمر أمير المؤمنين مواجهة هذا الاستسلام حيث أشار على أبي عبيدة بقوله: "سلام عليك، أما بعد فإنك أنزلت الناس أرضا عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة" ولكن إصابة أبي عبيدة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– حالت دون ذلك، وجاء عمرو –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– لينطلق منطلقات أمير المؤمنين نفسها في دعوة الأمة إلى الصعود إلى الجبال هربا من الطاعون، غير أن أبا وائل –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– رأى قول عمرو يختلف عن سابقيه فأغلظ القول لأميره، ولم يغضب الأمير الحليم العظيم، وقال لأخيه الجندي المتطاول "وَاللَّهِ مَا أَرُدُّ عَلَيْكَ مَا تَقُولُ" تعظيما للصحبة النبوية

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عنده، ولكن هذا لم يثنه عن توجيه أوامره للأمة لصعود الجبال، وصرف الله البلاء عن الأمة بذلك.

** من أقوال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

– قال عمرو بن العاص –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– لابنه: يا بني احفظ علي ما أوصيك به، إمام عدل خير من مطر وبل، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في "المنهاج": ومن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا، ومن ممادح أهل العلم: أنهم يخطئون، ولا يكفرون، وسبب ذلك: أن أحدهم قد يظن أن ما ليس بكفر كفرا.

– "لا سلطان إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بالعدل".

فالإمام العادل رأس السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وهو الذي تقوم به الدول وتحيا به الأمم.

– قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِمُعَاوِيَةَ: يَا أَمِيرَ المؤمنين! لا تكونن لِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ رَعِيَّتِكَ أَشَدَّ تَفَقُّدًا مِنْكَ لِخَصَاصَةِ الشَّرِيفِ حَتَّى تَعْمَلَ فِي سَدِّهَا، وَلِطُغْيَانِ اللَّئِيمِ حَتَّى تَعْمَلَ فِي قَمْعِهِ، وَاسْتَوْحِشْ مِنَ الْكَرِيمِ الْجَائِعِ وَمِنَ اللَّئِيمِ الشَّبْعَانِ؛ فَإِنَّ الْكَرِيمِ يَصُولُ إِذَا جَاعَ، وَاللَّئِيمِ يَصُولُ إِذَا شَبِعَ.

– "ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، ولكنه الذي يعرف خير الشرين".

فالحكيم المجرب والقائد المحنك والإداري العبقري هو الذي تهجم عليه جموع الشر من كل جانب فيعرف أيها يستقبل وأيها يبعد، يعرف الأولويات الحقيقية للموقف فيقدم الأهم على المهم.

– قيل لعمرو بن العاص –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "ما العقل؟ قال: الإصابة بالظن، ومعرفة ما يكون بما قد كان".

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فلا عقل لمن لا يعتبر بما مضى، ويفقه التصرف المناسب الجديد على ما سبق، ومن لم تسقه فراسته في الرجال والأشياء إلى أن تكون أقرب إلى الحقيقة، فليس من العقلاء الكبار بين قومه.

– "موت ألف من العِلية، أقل ضررا من ارتفاع واحد من السِّفلة"

فالخسارة بموت العظماء والفضلاء، أقل ضرر من ارتفاع السفلة أهل اللؤم والخسة لأنه يمرغ كرامة والأمة وشرفها بالوحل، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)} [البقرة]

– قال عمرو بن العاص: الرجال ثلاثة: فرجل تام، ونصف رجل، ولا شيء

فأما الرجل التام فالذي يكمل الله له دينه وعقله، فإذا أراد أمرا لم يمضه حتى يستشير أهل الرأي والألباب، فإذا وافقوه حمد الله وأمضى رأيه فلا يزال ذلك مضيا موفقا.

والنصف رجل الذي يكمل الله له دينه وعقله، فإذا أراد أمرا لم يستشر فيه أحدا، وقال: أي الناس كنت أطيعه أو أترك رأيي لرأيه، فيصيب ويخطئ.

والذي لا شيء الذي لا دين ولا عقل، ولا يستشير فلا يزال ذلك مخطئا مدبرا

قال عمرو: والله إني لأستشير في الأمر الذي أردته حتى لأستشير خدمي وما علي بعرض عقولهم وأسمع.

– عن علي بن عبد الله بن سفيان قال: قال معاوية بن أبي سفيان لعمرو بن العاص: ما السرور يا أبا عبد الله؟ قال الغمرات ثم تنجلي

وقال عمرو بن العاص لجلسائه –وتذاكروا شيئا من أمر الدنيا– أي شيء رأيتم أحسن؟ فذكروا النساء المرأة الحسنة والدابة، فقال عمرو: وما شيء أحسن من غمرات ثم تنجلي

فالسرور عند أقزام الرجال وأنصافهم وأشباههم شيء، وعند عظماء الرجال وصانعي الأمم شيء آخر، فصانعو الأمم هم الذين يخوضون الأهوال ويتحدون الصعاب

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ويتنقلون من معركة إلى معركة ومن هول إلى هول حتى يثبتوا وجود أمتهم تحت الشمس، وتكون لها دور الريادة في البشرية.

إن السرور عند –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: «غمرات ثم تنجلي» لأن سرور العظماء بتحقيق أمجاد لأمتهم لا بالتسكع على أبواب اللذات البهيمية.

يقول الشاطبي –رحمه الله تعالى–: "المقصد الشرعي مِن وضْع الشريعة هو إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبد الله اضطراراً"

– عن سفيان قال معاوية بن أبي سفيان لعمرو بن العاص: ما ألذ الأشياء؟ قال: يا أمير المؤمنين مر أحداث قريش فليقوموا، فلما قاموا قال: "إسقاط المروءة"

يريد أن الرجل إذا لم يهمه مروءته تلذذ وعمل ما يشتهي ولم يلتفت إلى لوم لائم.

– سأله معاوية: ما بقي من لذة الدنيا تلذه؟ قال: محادثة أهل العلم، وخبر صالح يأتيني من ضيعتي.

– قال معاوية لعمرو بن العاص: من أبلغ الناس؟ قال: من اقتصر على الإيجاز، وسلب الفضول.

قال: فمن أصبر الناس؟ قال: من كان رأيه رادا لهواه.

قال: فمن أسخى الناس؟ قال: من بذل دنياه في صلاح دينه.

قال: فمن أشجع الناس؟ قال: من رد جهله بحلمه.

** ومن أقواله أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

– استراح من لا عقل له.

– يا بني زلة الرجل عظم يجبر، وزلة اللسان لا تبقي ولا تذر

وفي رواية: زلة الرجل عظم يجبر وزلة النساء لا تبقي ولا تذر

– يا بني مزاحمة الأحمق خير من مصافحته.

– ليس الحليم من يحلم عن من يحلم عنه، ويجاهل من جاهله، إنما الحليم من يحلم على من يجور عليه، ومن يحلم عن من جاهله.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

– أربعة لا أملهم: جليسي ما فهم عني، وثوبي ما سترني، ودابتي ما حملتني، وامرأتي ما أحسنت عشرتي. وفي رواية: وإن الملال من سيء الأخلاق.

– قال عمرو لمعاوية –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما–: ما بطن قوم إلا فقدوا عقولهم، ما قضيت عزيمة رجل مات بطينا.

– عن أبي قبيل عن عمرو بن العاص –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قال: لا وجع إلا العين، ولا حزن إلا الدين.

– عن علي بن رباح اللخمي قال عمرو بن العاص: انتهى عجبي إلى ثلاث: المرء يفر من القدر وهو لاقيه، ويرى في أعين أخيه القذاة فيعيبها ويكون في عينه مثل الجذع فلا يعيبها، ويكون في دابته الصعر ويقومها جهده ويكون في نفسه الصعر فلا يقومها

– عن حيان بن أبي حيلة قال: قيل لعمرو بن العاص ما المروءة؟ فقال: يصلح الرجل ماله، ويحسن إلى إخوانه.

– عن موسى بن علي قال سمعت أبي قال كنت مع عمرو بن العاص بالإسكندرية فانكسف القمر، فأصبحنا مع عمرو، فقال له رجل من القوم: لقد حدثنا شيطان هذه المدينة أن القمر سيكسف من الليلة. فقال رجل ممن صحب النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: كذب عدو الله هذا، هم علموا ما في الأرض فما علمهم ما في السماء؟ قال فلم يرد عمرو عليه بذلك كثيرا ثم قال عمرو: إنما الغيب خمسة فما سوى ذلك يعلمه قوم ويجهله آخرون ثم إنه قرأ: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤]

– ثلاثة لا أناة فيهم: المبادرة بالعمل الصالح، ودفن الميت، وتزويج الكفء.

– وكان –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– خارجا عن سلطان بطنه، فهو يرى الطعام وسيلة للعيش وليست لذة تقصد، فعن أَبي قَيْسٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ كَانَ يَسْرُدُ الصَّوْمَ، وَقَلَّمَا كَانَ يُصِيبُ مِنْ الْعَشَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ أَكْثَرَ مَا كَانَ يُصِيبُ مِنْ السَّحَرِ، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: (إِنَّ فَصْلًا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ)

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

– عن ربيعة بن لقيط قال: سمعت عمرو بن العاص وهو يصلي من الليل وهو يبكي ويقول: "اللهم إنك آتيت عمرا مالا، فإن كان أحب إليك أن تسلب عمرا ماله ولا تعذبه بالنار فاسلبه ماله، وإنك آتيت عمرا ولدا، فإن كان أحب إليك أن تثكل عمرا ولده ولا تعذبه بالنار فأثكله ولده، وإنك آتيت عمرا سلطانا، فإن كان أحب إليك أن تنزع منه سلطانه ولا تعذبه بالنار فانزع منه سلطانه".

ولهذا قال وهب بن منبه –رحمه الله–: قيام الليل يشرف به الوضيع ويعز به الذليل، وصيام النهار يقطع عن صاحبه الشهوات، وليس للمؤمنين راحة دون دخول الجنة.

– عَنْ قَبِيصَةَ بنِ جَابِرٍ قال: قَدْ صَحِبْتُ عَمْرَو بنَ العَاصِ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَبْيَنَ، أَوْ أَنْصَعَ رَأْياً، وَلاَ أَكْرَمَ جَلِيْساً مِنْهُ، وَلاَ أَشْبَهَ سَرِيْرَةً بِعَلاَنِيَةٍ مِنْهُ.

– قَالَ مُحَمَّدُ بنُ سَلاَّمٍ الجُمَحِيُّ: كَانَ عُمَرُ إِذَا رَأَى الرَّجُلَ يَتَلَجْلَجُ فِي كَلاَمِهِ، قَالَ: خَالِقُ هَذَا وَخَالِقُ عَمْرِو بنِ العَاصِ وَاحِدٌ"... فمع أنه في قمة الأمة فصاحة وبلاغة، لم يكن عمرو –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– يجد مثلا يضربه للفصاحة غيره.

– وقد أخطأ مرة في حق أخيه مسلمة بن مخلد عندما صرعه خصمه الرومي فقال لمسلمة: "ما بال الرجل المسنة الذي يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال"

ثم هدأ غضبه ورأى كيف أنقذه مسلمة من الموت فاستحيا عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب، فقال عمرو عند ذلك: استغفر لي ما كنت قلت لك، فاستغفر له، وقال عمرو: ما أفحشت قط إلا ثلاث مرار: مرّتين في الجاهلية، وهذه الثالثة، وما منهنّ مرّة إلا وقد ندمت، وما استحييت من واحدة منهنّ أشدّ مما استحييت مما قلت لك، ووالله إني لأرجو أن لا أعود إلى الرابعة ما بقيت.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وفاة عمرو بن العاص

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

** عن عبد الرحمن بن شِمَاسَةَ قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال له عبد الله: لم تبكي؟ أجزع من الموت؟ قال: لا والله ولكن ما بعد فقال له فكنت على خير فجعل يذكره صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وفتوحه الشام فقال عمرو بن العاص تركت أفضل من ذلك كله شهادة أن لا إله إلا الله

** روى مسلم من حديث ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ فَبَكَى طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقُلْتُ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي قَالَ مَا لَكَ يَا عَمْرُو قَالَ قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ قَالَ تَشْتَرِطُ بِمَاذَا قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِي قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا [أهيلو علي التراب] ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي.

** وفي رواية للإمام أحمد: فَلَمَّا بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً مِنْهُ فَمَا مَلَأْتُ عَيْنِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا رَاجَعْتُهُ فِيمَا

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أُرِيدُ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَيَاءً مِنْهُ فَلَوْ مِتُّ يَوْمَئِذٍ قَالَ النَّاسُ هَنِيئًا لِعَمْرٍو أَسْلَمَ وَكَانَ عَلَى خَيْرٍ فَمَاتَ فَرُجِيَ لَهُ الْجَنَّةُ ثُمَّ تَلَبَّسْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالسُّلْطَانِ وَأَشْيَاءَ فَلَا أَدْرِي عَلَيَّ أَمْ لِي فَإِذَا مِتُّ فَلَا تَبْكِيَنَّ عَلَيَّ وَلَا تُتْبِعْنِي مَادِحًا وَلَا نَارًا وَشُدُّوا عَلَيَّ إِزَارِي فَإِنِّي مُخَاصِمٌ وَسُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ سَنًّا فَإِنَّ جَنْبِيَ الْأَيْمَنَ لَيْسَ بِأَحَقَّ بِالتُّرَابِ مِنْ جَنْبِي الْأَيْسَرِ وَلَا تَجْعَلَنَّ فِي قَبْرِي خَشَبَةً وَلَا حَجَرًا فَإِذَا وَارَيْتُمُونِي فَاقْعُدُوا عِنْدِي قَدْرَ نَحْرِ جَزُورٍ وَتَقْطِيعِهَا أَسْتَأْنِسْ بِكُمْ

** روى أحمد عن أَبي نَوْفَلِ بْنُ أَبِي عَقْرَبٍ قَالَ جَزِعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عِنْدَ الْمَوْتِ جَزَعًا شَدِيدًا فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو قَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا هَذَا الْجَزَعُ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْنِيكَ وَيَسْتَعْمِلُكَ قَالَ أَيْ بُنَيَّ قَدْ كَانَ ذَلِكَ وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ ذَلِكَ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَحُبًّا ذَلِكَ كَانَ أَمْ تَأَلُّفًا يَتَأَلَّفُنِي وَلَكِنِّي أَشْهَدُ عَلَى رَجُلَيْنِ أَنَّهُ قَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُمَا ابْنُ سُمَيَّةَ وَابْنُ أُمِّ عَبْدٍ فَلَمَّا حَدَّثَهُ وَضَعَ يَدَهُ مَوْضِعَ الْغِلَالِ مِنْ ذَقْنِهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَمَرْتَنَا فَتَرَكْنَا وَنَهَيْتَنَا فَرَكِبْنَا وَلَا يَسَعُنَا إِلَّا مَغْفِرَتُكَ وَكَانَتْ تِلْكَ هِجِّيرَاهُ حَتَّى مَاتَ.

** وعن ثابت البناني قال: كان عمرو على مصر، فثقل، فقال لصاحب شرطته: أدخل وجوه أصحابك [أي حرسه]، فلما دخلوا، نظر إليهم وقال: ها قد بلغت هذه الحال، ردوها عني، فقالوا: مثلك أيها الأمير يقول هذا؟ هذا أمر الله الذي لا مرد له. قال: قد عرفت، ولكن أحببت أن تتعظوا، لا إله إلا الله، فلم يزل يقولها حتى مات.

** عن الحسن قال بلغني أن عمرو بن العاص لما كان عند الموت دعا حرسه فقال أي صاحب كنت لكم؟ قالوا كنت لنا صاحب صدق تكرمنا وتعطينا وتفعل وتفعل قال فإني إنما كنت أفعل ذلك لتمنعوني من الموت وإن الموت ها هو ذا قد نزل بي فأغنوه عني فنظر القوم بعضهم إلى بعض فقالوا والله ما كنا نحسبك تكلم بالعوراء يا أبا عبد الله قد علمت أنا لا نغني عنك من الموت شيئا فقال أما والله لقد قلتها وإني لأعلم أنكم لا تغنون عني من الموت شيئا، ولكن والله لأن أكون لم أتخذ منكم رجلا قط يمنعني من الموت أحب إلي من كذا وكذا، فيا ويح ابن أبي طالب [أي سيدنا علي]

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

إذ يقول «حرس أمراء أجله» ثم قال عمرو اللهم لا برئ فأعتذر ولا عزيز فأنتصر وإلا تدركني منك برحمة أكن من الهالكين.

** وروي أن عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة ذرفت عيناه فبكى، فقال له ابنه عبد الله: والله يا أبي ما كنت أخشي أن ينزل بك أمر من الله تعالى إلا صبرت عليه، فقال: يا بني، إنه نزل بأبيك خصال ثلاث: أولهن: انقطاع عمله، وأما الثانية: فهو المطلع، وأما الثالثة: ففراق الأحبة، ثم قال: اللهم إنك أمرت فتوانيت، ونهيت فعصيت، اللهم ومن شيمتك [طبعك وصفتك] العفو والتجاوز.

** روي أنه لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه: يا أبتاه! إنك كنت تقول: يا ليتني كنت ألقى رجلا عاقلا لبيبا عند نزول الموت حتى يصف لي ما يجد، وأنت ذلك الرجل، فصف لي ما تجد؟. فقال: يا بني، والله كأن جنبي في تخت، وكأني أتنفس من سم إبرة، وكأن غصن شوك يجذب من قدمي إلى هامتي. ثم أنشأ يقول :

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي *** في تلال الجبال أرعى الوعولا

** ولقد مرض –رحمه الله– مرض موته سنة ٤٣ هجرية، قال معاوية بن خديج: أتيت عمرو بن العاص وقد ثقل. فقلت: كيف تجدك؟ فقال: أذوب ولا أتوب، وأجد نجوى [ما يخرج من البطن من بول أو غائط] أكثر من رزئي [الطعام الذي يؤكل] فما بقاء الكبير على هذا؟!

** عن قتادة قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال كيلوا مالي فكالوه فوجدوه اثنين وخمسين مدا. فقال من يأخذه بما فيه يا ليته كان بعرا قال وكان المد ستة عشر أوقية الأوقية منه مكوكان، ومات عمرو بن العاص يوم الفطر وقد بلغ أربعا وتسعين سنة وصلى عليه ابنه عبد الله ودفن بالمقطم في سنة ثلاث وأربعين ثم استعمل معاوية على مصر وأعمالها أخاه عتبة بن أبي سفيان

** لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال عبد الله له يا أبتاه أوص في مالي ومالك ما بدا لك قال فدعا كاتبا فقال اكتب فجعل يكتب قال فلما أسرع في المال قال يا أبة لا أحسبك إلا قد أتيت على مالي ومال إخوتي فلو بعثت إلى إخوتي فتحلل ذلك منهم قال عمرو للكاتب اقرأه فقرأه فقال عبد الله بن عمرو بخ بخ قال فقال له عمرو

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يا عبد الله اشكر هذا فوالله لامرأة من المهاجرات أقبلت ببعير تقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمله عليه في سبيل الله خير من هذا كله، جاء ذاك من حيث جاء، وجاء هذا من حيث جاءنا عبد الله، والله لقد هلكنا إلا أنا معتصمين بلا إله إلا الله.

**** عن عبد الله بن عمرو أنه حدث أن أباه أوصاه قال يا بني إذا مت فاغسلني غسلة بالماء ثم جففني في ثوب ثم اغسلني الثانية بماء قراح ثم جففني في ثوب ثم اغسلني الثالثة بماء فيه شيء من كافور ثم جففني في ثوب ثم إذا ألبستني الثياب فأزر علي فإني مخاصم ثم إذا أنت حملتني على السرير فامش بي مشيا بين المشيتين وكن خلف الجنازة فإن مقدمها للملائكة وخلفها لبني آدم فإذا أنت وضعتني في القبر فسن علي التراب سنا ثم قل اللهم إنك أمرتنا فأضعنا ونهيتنا فركبنا فلا بريء فأعتذر ولا عزيز فأنتصر ولكن لا إله إلا أنت ما زال يقولها حتى مات.**

**** وعن أبي فراس مولى عبد الله بن عمرو أن عمرو بن العاص توفي ليلة الفطر فغدا به عبد الله بن عمرو حتى إذا أبرز به وضعه في الجبانة حتى انقطعت الأزقة من الناس ثم صلى عليه ودفنه ثم صلى بالناس صلاة العيد قال أحسب أن لم يبق أحد شهد العيد إلا صلى عليه.**

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

سطور في سيرة الحجاج الثقفي

** شخصية كثر فيها الجدل، هناك من مدحه واعتبره من أعظم الشخصيات الإسلامية لاسيما في دولة بني أمية، بل اعتبروه حافظ دولة الإسلام من التفكك، وهناك من ذم الحجاج وقال الشعر في ظلمه، بل وصل الحال بالبعض إلى أن كفر الحجاج وأخرجه عن دائرة الإسلام.

// وجمهور العلماء يرونه أهلا أن لا يروى عنه ولا يؤثر حديثه ولا يذكر بخير لسوء سيره وإفراطه في الظلم.

// والحق أن الرجل مسلم بل وقدم خدمات جليلة لدولة الإسلام، وله وعليه، والذي عليه أكثر من الذي له بكثير.

// قال أبو عمرو ابن العلاء: ما رأيت أحدا أفصح من الحسن (البصري) والحجاج.

// وقال ياقوت (في معجم البلدان): ذُكر الحجاج عند عبد الوهاب الثقفي بسوء، فغضب وقال: إنما تذكرون المساوئ! أو ما تعلمون أنه أول من ضرب درهما عليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وأول من بنى مدينة بعد الصحابة في الإسلام، وأول من أتخذ المحامل، وأن امرأة من المسلمين سبيت في الهند فنادت ياحجاجاه، فاتصل به ذلك فجعل يقول: لبيك لبيك! وأنفق سبعة آلاف درهم حتى أنقذ المرأة. واتخذ «المناظر» بينه وبين قزوين، فكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهارا وإن كان ليلا أشعلوا نيرانا فتجرد الخيل إليهم، فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط، وأصبحت قزوين ثغرا حينئذ.

** قال الإمام الذهبي: كان ظلوماً غشوماً جباراً خبيثاً سفاكاً للدماء، وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء وفصاحة وبلاغة وتعظيم للقرآن!! فنحن نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فذلك من أوثق عرى الإيمان .. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله عز وجل، وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء.

نسبه

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** هو أبو محمد بن الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثَّقَفي.

** والده يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، كان معلما للصبيان بالطائف، بل الحجاج نفسه نشأ محفظا للقرآن، وكان أبوه من سادة ثقيف وكبرائها، وقد كانت ثقيف من أكبر القرى بالجزيرة العربية وكانت تنافس مكة، قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف٣١] أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف.

قال أهل الجرح والتعديل في والده (يوسف بن الحكم): ثقة، وإنما روى حديثا واحدا عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (من أراد هوان قريش أهانه الله) وقد ينسب لجده أبي عقيل وهو مقبول من الثالثة، وروى عنه كعب بن علقمة وقال: "كان صالحا".

وقال حرملة بن عمران عن كعب بن علقمة: كان يوسف بن الحكم والد الحجاج بن يوسف فاضلا من خيار المسلمين روى له الترمذي

** أمه: فارعة بنت همام بن عقيل بن عروة بن مسعود الثقفي، وعروة بن مسعود – رضي الله عنه– أسلم بعد وقعة الطائف، ووفد على النبي –صلى الله عليه وسلم– بالمدينة فأسلم وحسن إسلامه ثم رجع إلى الطائف فدعاهم إلى الإسلام فقتلوه.

عن عروة بن الزبير قال: لما أتى الناس الحج سنة تسع، قدم عروة بن مسعود الثقفي عم المغيرة بن شعبة على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فاستأذن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أن يرجع إلى قومه فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (إني أخاف أن يقتلوك) قال: لو وجدوني نائما ما أيقظوني، فأذن له رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فرجع إلى قومه مسلما فقدم عشاء فجاءته ثقيف فدعاهم إلى الإسلام فاتهموه وعصوه وأسمعوه ما لم يكن يحتسب ثم خرجوا من عنده حتى إذا أسحروا وطلع الفجر قام عروة على سقف داره فأذن بالصلاة وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله تعالى فقتلوه)

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** كانت الفارعة سيدة نساء ثقيف، وأكثرهن مالا وحليا، كانت قبل أبي الحجاج تحت المغيرة بن شعبة –رضي الله عنه–.

ذكر ابن كثير: يروى أن المغيرة دخل على الفارعة في السحر، فوجدها تتخلل، فبعث إليها بطلاقها، فبعثت إليه تسأله عن السبب، فقال: إني دخلت عليك وقت السحر فوجدتك تتخللين، فإن كنت بادرت إلى الطعام فأنت شرهة، وإن بت والطعام بين أسنانك فأنت قذرة. فقالت: كل ذلك لم يكن، ولكني تخللت من شظايا السواك علقت بأسناني، ووالله ما فرحنا إذ كنا ولا ندمنا إذ بنّا، وتزوجها بعده يوسف فولدت له الحجاج داهية من دواهي العرب.

نشأته

** ولد سنة إحدى وأربعين في الطائف بالحجاز، روى أنه لم يرضع الثدي حتى قال بعض الكهان: اذبحوا له ثلاث جدي، وألعقوه بعض دمها، وغسلوه بالدم، ففعلوا؛ فلذلك آتى يحب سفك الدم. وولد بغير مخرج فَغُورَ له مخرج بالحديد.

** ونشأة الحجاج بالطائف كانت أحد دواعي فصاحته وبلاغته، فقد كانت لهجة الطائف من أفصح لهجات العرب، وقد حفظ القرآن منذ نعومة أظفاره.

** لم يزل الحجاج في كنف أبيه، وكان أبوه رجلا نبيلا جليلَ القدر، إلى أن انتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عداد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال ابن الزبير فزحف إلى الحجاز بجيش كبير فحاصره بمكة وقتله وفرق جموعه وأخرجه فصلبه، ثم ولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف فولي الحجاز ثلاث سنين، ثم ولي العراق وخراسان عشرين سنة عاملا لعبد الملك بن مروان، وبعده لابنه الوليد. وقد وفد العراق والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة. وبنى مدينة واسط بين الكوفة والبصرة.

مات بمدينة واسط في شوَّال، وقيل في رمضان سنة ٩٥هـ، وعمره ٥٤ سنة

** وأول ما علم من جوره: أن أباه خرج من مصر يريد عبد الملك، ومعه ابنه الحجاج، فأقبل سليم بن عمرو القاضي، وكان من أورع الناس وأتقاهم، فقام إليه أبوه يوسف،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فسلم عليه، وقال له: ألك حاجة إلى أمير المؤمنين؟ فقال: نعم، أن تسأله يعزلني عن القضاء، فقال يوسف: لوددت أن قضاة المسلمين كلهم مثلك، فكيف أسأله ذلك ثم انصرف، فقال الحجاج لأبيه: من هذا الذي قمت إليه؟ فقال: هذا سليم بن عمرو قاضي مصر وقاصهم، فقال: يغفر اللّه لك يا أبت، أنت ابن عقيل تقوم إلى رجل من كندة؟! فقال: واللّه إني لأرَى الناس ما يرحمون إلا بهذا وأشباهه، فقال واللّه، ما يفسد على أمير المؤمنين إلا هذا وأشباهه، يقعدون وتقعد إليهم أحداث، فيذكرون سيرة أبي بكر وعمر؛ فيخرجون على أمير المؤمنين، فواللّه لو أضيف إلَي هذا الأمر، لسألت أمير المؤمنين أن يجعل لي السبيل، فأقتل هذا وأشباهه، فقال له: اتق اللّه يا بني، والله إني لأظن أن اللّه خلقك شقيّاً.

** وأول ما أعجب به عبد الملك منه: أنه كان قد اتصل بروح بن زنباع، وصار من جملة شرطته، وكان روح بن زنباع بمنزلة نائب عبد الملك. توجه إلى الجزيرة لقتال زفر بن الحارث عندما عصى عليه بقرقيسيا، فأمر روح بن زنباع جماعة من أصحاب شرطته يحثون المتأخرين من العسكر في كل منزل، وكان الحجاج من جملتهم، فمر يوماً بعد رحيل العسكر بجماعة من خواصِّ روح في خيمة يأكلون، فأمرهم الرحيل، فسخروا منه أولا لمحلهم، وثانياً لمحل سيدهم، وقالوا له: انزل كُلْ واسكُتْ، فضرب بسيفه أطناب الخيمة، فسقطت عليهم، وأطلق فيها ناراً، فأحرقت أثاثهم، فقبضوا عليه، وأتوا به روح بن زنباع، وسمع عبد الملك الخبر، وطلبه وقال: من فعل هذا بغلمان روح؟ فقال: أنت يا أمير المؤمنين، أمرتنا بالاجتهاد فيما وليتنا، ففعلنا ما أمرت، بهذه الفعلة يرتدعُ من بقي من العسكر، وما على أمير المؤمنين أن يعوضهم ما احترق، وقد قامت الحرمة وتم المراد. فأعجب عبد الملك ذلك، وقال: إن شرطيكم لجلد. ثم أقره على ما هو عليه.

** ولما طال الحصار والقتال بينه وبين زفر بن الحارث، أرسل عبد الملك رجاء بن حيوة وجماعة منهم الحجاج إلى زفر يدعوه إلى الصلح، فأتوا بالكتاب وقد حضرت الصلاة، فقام رجاء، فصلى مع زفر، وصَلى الحجاج وحده، فسئل عن ذلك. قال: لا أصلي مع منافق خارج عن أمير المؤمنين وبارز عن طاعته، فسمع ذلك عبد الملك،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فزاده عجباً بالحجاج، ورفع قدره، وولاه تبالة، وهي أول ما وَلِي، فخرج إليها، فلما قرب، سأل عنها، فقيل له: إنها وراء هذه الأكمة، فقال: أف لبلد تسترها أكمة، ورجع، فقيل في المثل: «أهون على الحجاج من تبالة»، ثم وصل إلى ما وصل إليه.

كذاب ومبير

** الشيعة دائمًا مغلوبون مقهورون منهزمون وحبهم للدنيا وحرصهم عليها ظاهر. ولذلك لما كاتبوا الحسين رضي الله عنه فلما أرسل إليهم ابن عمه ثم قدم بنفسه غدروا به، وباعوا الآخرة بالدنيا، وأسلموه إلى عدوه، وقاتلوه مع عدوه. فأي زهد في الدنيا وأي جهاد عندهم.

وقد ذاق منهم علي –رضي الله عنه– من الكاسات المُرَّة ما لا يعلمه إلا الله، حتى دعا عليهم فقال: «اللهم إني سئمتهم وسئموني فأبدلني بهم خيرًا منهم وبدلهم بي شرًا مني».

وقد كانوا يغشونه ويكاتبون من يحاربه ويخونونه في الولايات والأموال.

هذا ولم يكونوا صاروا بعد رافضة ...

فهم من شر الناس معاملة لعلي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وابنيه سبطي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وريحانتيه في الدنيا: «الحسن والحسين» وأعظم الناس قبولاً للوم اللائم في الحق، وأسرع الناس إلى فتنة وأعجزهم عنها، يغرون من يظهرون نصره من أهل البيت حتى إذا اطمئن إليهم ولامهم عليه اللائم خذلوه وأسلموه وآثروا عليه الدنيا.

ولهذا أشار عقلاء المسلمين على الحسين ألا يذهب إليهم مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وغيرهم لعلمهم بأنهم يخذلونه ولا ينصرونه ولا يوفون له بما كتبوا به إليه، وكان الأمر كما رأى هؤلاء.

ونفذ فيهم دعاء عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– ثم دعاء علي –رضي الله عنه– حتى سلط الله عليهم الحجاج بن يوسف فكان لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم ودب شرهم إلى من لم يكن منهم حتى عم الشر.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** المختار بن أبي عبيد الكذاب فإنه كان (أمين الشيعة) وقتل عبيد الله بن زياد وأظهر الانتصار للحسين حتى قتل قاتله وتقرب بذلك إلى محمد بن الحنفية وأهل البيت. ثم ادعى النبوة وأن جبريل يأتيه، وثبت في صحيح مسلم عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (سيكون في ثقيف كذاب ومبير) فكان الكذاب هو المختار، وكان المبير هو الحجاج بن يوسف الثقفي

قيل لابن عمر وابن عباس إن المختار يزعم أنه ينزل إليه فقالا: صدق قال تعالى: {هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم}

وقال الآخر: وقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحي إليه فقال: قال الله تعالى: {وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم}

** وعن ابن سيرين: "قال ابن الزبير رضي الله عنهما: ما شيء كان يحدثناه كعب إلا قد أتى على ما قال؛ إلا قوله: إن فتى ثقيف يقتلني، وهذا رأسه بين يدي (يعني: المختار)". قال ابن سيرين: "ولا يشعر أن أبا محمد قد خبئ له (يعني: الحجاج)". [رواه عبد الزراق في "مصنفه"، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، والطبراني . قال الهيثمي : "ورجاله رجال الصحيح"].

وقد رواه الحاكم في "مستدركه" من حديث الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف: "حدثني البريد الذي أتى ابن الزبير برأس المختار، فلما رآه قال ابن الزبير: ما حدثني كعب بحديث إلا وجدت مصداقه؛ إلا أنه حدثني أن رجلا من ثقيف سيقتلني". قال الأعمش: وما يدري أن أبا محمد خذله الله خبئ له.

** وعن عامر بن عبد الله بن الزبير: أن أباه حدثه: «أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم، فلما فرغ قال: (يا عبد الله! اذهب بهذا الدم؛ فأهرقه حيث لا يراك أحد)، فلما برزت عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؛ عمدت إلى الدم فحسوته، فلما رجعت إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ قال: (ما صنعت يا عبد الله؟). قال: جعلته في مكان ظننت أنه خاف على الناس. قال: (فلعلك شربته؟). قلت: نعم. قال: (ومن أمرك أن تشرب الدم؟! ويل لك من الناس وويل للناس منك!). [رواه: أبو يعلى، والحاكم، والبيهقي].

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** وعن أبي عذبة الحمصي؛ قال: "جاء رجل إلى عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– فأخبره أن أهل العراق قد حصبوا أميرهم، فخرج غضبان، فصلى لنا صلاة، فسها فيها، حتى جعل الناس يقولون: سبحان الله! سبحان الله! فلما سلم أقبل على الناس، فقال: من هاهنا من أهل الشام؛ فقام رجل، ثم قام آخر، ثم قمت أنا ثالثا (أو رابعا)، فقال: يا أهل الشام! استعدوا لأهل العراق؛ فإن الشيطان قد باض فيهم وفرخ، اللهم إنهم قد لبسوا علي فألبس عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم أهل الجاهلية؛ لا يقبل من محسنهم، ولا يتجاوز عن مسيئهم". [رواه البيهقي].

** وعن الحسن قال علي –رضي الله عنه– لأهل الكوفة: "اللهم كما ائتمنتهم فخانوني، ونصحت لهم فغشوني؛ فسلط عليهم فتى ثقيف الذَّيَّالِ المَيَّالُ [الذيال: الذي يجر ذيله على الأرض تبخترا، والميال: الظالم]؛ يأكل خضرتها، ويلبس فروتها، ويحكم فيهم بحكم الجاهلية".

قال الحسن: وما خلق الله الحجاج يومئذ. [رواه: عبد الرزاق، والبيهقي في "الدلائل"، وهو منقطع، قال البيهقي: "ولا يقول علي ذلك إلا توقيفا"].

** وعن مالك بن أوس بن الحدثان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه قال: "الشاب الذيال الميال أمير المِصرين [المصر البلدان. ويريد بهما الكوفة والبصرة]؛ يلبس فروتها، ويأكل خضرتها، ويقتل أشراف أهلها، يشتد منه الفرق، ويكثر منه الأرق، ويسلطه الله على شيعته". [رواه البيهقي في "الدلائل"].

** وعن أم حكيم بنت عمرو بن سنان الجدلية؛ قالت: "استأذن الأشعث بن قيس على علي –رضي الله عنه–، فرده قنبر، فأدمى أنفه، فخرج علي –رضي الله عنه–، فقال ما لك وله يا أشعث؟! أما والله لو بعبد ثقيف تحرشت لاقشعرت شعيرات استك. قيل له: يا أمير المؤمنين ومن عبد ثقيف؟ قال: غلام يليهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلا ألبسهم ذلا. قيل: كم يملك؟ قال: عشرين إن بلغ". [رواه الطبراني].

** وعن هشام بن حسان؛ قال: قال عمر بن عبد العزيز –رحمه الله تعالى–: "لو أن الأمم تخابثت يوم القيامة، فأخرجت كل أمة خبيثها، ثم أخرجنا الحجاج؛ لغلبناهم".

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

[رواه أبو نعيم في "الحلية"، ورواه البيهقي من حديث هشام بن يحيى الغساني عن عمر بن عبد العزيز بنحوه.]

** وقال ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي: حدثنا سليمان بن أبي سنح: حدثنا صالح بن سليمان؛ قال: قال عمر بن عبد العزيز: "لو تخابثت الأمم، فجاءت كل أمة بخبيثها، وجئنا بالحجاج؛ لغلبناهم، وما كان الحجاج يصلح لدنيا ولا لآخرة، لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكون في العمارة، فأخس به إلى أن صيره إلى أربعين ألف ألف، ولقد أدى إلي عمالي في عامي هذا ثمانين ألف ألف، وإن بقيت إلى قابل؛ رجوت أن يؤدى إلي ما أدي إلى عمر بن الخطاب مائة ألف وعشرة آلاف ألف".

** وعن عمرو بن عثمان عن أبيه عن جده؛ قال: كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إلى عدي بن أرطاة: "بلغني أنك تستن بسنة الحجاج، فلا تستن بسنته؛ فإنه كان يصلي الصلاة لغير وقتها، ويأخذ الزكاة من غير حقها، وكان لما سوى ذلك أضيع". [رواه أبو نعيم في "الحلية"].

** وَعَنْ هِشَامِ بنِ حَسَّانَ قَالَ: أَحْصُوا مَا قَتَلِ الحَجَّاجُ صَبْرًا ، فَبَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفِ قَتِيلٍ. [رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ].

** وقال الأصمعي: "حدثنا أبو عاصم عن عباد بن كثير عن قحدم؛ قال: أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة أحدا وثمانين ألف أسير كانوا في سجن الحجاج، وقيل: إنه لبث في سجنه ثمانون ألفا، منهم ثلاثون ألف امرأة، وعرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب، وكان فيمن حبس أعرابي وجد يبول في أصل ربض مدينة واسط، وكان فيمن أطلق، فأنشأ يقول:

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط ... خرينا وصلينا بغير حساب

[ذكره ابن كثير في "تاريخه"].

** وقال الرياشي: حدثنا عباس الأزرق عن السري بن يحيى؛ قال: مر الحجاج في يوم الجمعة، فسمع استغاثة، فقال: ما هذا؟ فقيل: أهل السجون يقولون: قتلنا الحر.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فقال: قولوا لهم: اخسؤوا فيها ولا تكلمون. قال: فما عاش بعد ذلك إلا أقل من جمعة، حتى قصمه الله قاصم كل جبار".

وعن الشعبي: أنه قال: "يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج". [رواه ابن عساكر في "تاريخه"].

في الحجاز

** عن أبي الصديق الناجي؛ قال: "لما ظفر الحجاج بابن الزبير فقتله ومثل به، ثم دخل على أم عبد الله، وهي أسماء بنت أبي بكر –رضي الله عنهما–، فقالت: كيف تستأذن علي وقد قتلت ابني؟! فقال: إن ابنك ألحد في حرم الله فقتلته ملحدا عاصيا، حتى أذاقه الله عذابا أليما، وفعل به وفعل. فقالت: كذبت يا عدو الله وعدو المسلمين! والله لقد قتلته صواما قواما برا بوالديه حافظا لهذا الدين؛ ولئن أفسدت عليه دنياه لقد أفسد عليك آخرتك، ولقد حدثنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: أنه يخرج من ثقيف كذابان، الآخر منهما أشر من الأول، وهو المبير، وما هو إلا أنت يا حجاج" رواه: الإمام أحمد، وأبو يعلى، والحاكم، وهذا لفظه، وزاد في رواية له: "فقال الحجاج: صدق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصدقت، أنا المبير، أبير المنافقين". [قال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في "تلخيصه"].

** وعن أبي المحياة عن أمه؛ قالت: لما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير –رضي الله عنهما–؛ دخل على أسماء بنت أبي بكر –رضي الله عنهما– فقال: يا أمه! إن أمير المؤمنين أوصاني بك؛ فهل لك من حاجة؟ فقالت: لست لك بأم، ولكني أم المصلوب على رأس الثنية، وما لي من حاجة، ولكن انتظر حتى أحدثك ما سمعت من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، سمعته يقول: (يخرج من ثقيف كذاب ومبير)، فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فأنت. فقال الحجاج : مبير المنافقين. [رواه البيهقي].

** وعن مجاهد؛ قال: قال لي عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–: انظر إلى المكان الذي به ابن الزبير؛ فلا تمر بي عليه. قال: فسها الغلام؛ فإذا ابن عمر ينظر إلى ابن

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الزبير مصلوبا. فقال: يغفر الله لك (ثلاثا)، والله ما علمتك إلا كنت صواما قواما وصولا للرحم، أما والله إني لأرجو مع مساوي ما أصبت أن لا يعذبك الله بعدها أبدا. ثم التفت إلي فقال: سمعت أبا بكر الصديق –رضي الله عنه– يقول: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: (من يعمل سوءًا يجز به في الدنيا). [رواه: ابن مردويه، والحاكم في "مستدركه"، وابن عساكر في "تاريخه"].

ولاية العراق

** للبُخاريِّ عن الزُّبير بن عَدِي. قال: أتينا أنَساً، فشَكَوْنا إليه ما نلْقَى من الحجَّاج. فقال: "اصْبروا؛ فإنه لا يأتي عليكُم زمانٌ، إلا والذي بعدَه شرّ منه" سمعتُه من نبيِّكُم – صلى الله عليه وسلم–.

** حين قدم الحجاج بن يوسف العراق بدأ بالكوفة قبل البصرة، فنودي الصلاة جامعة، فأقبل الناس إلى المسجد والحجاج متقلد قوسا وعليه عمامة خز حمراء متلثما، فقعد وعرض القوس بين يديه ثم لم يتكلم حتى امتلأ المسجد، فقال محمد بن عمير: فسكت حتى ظننت إنما يمنعه العي، وأخذت في يدي كفا من حصى أردت أن أضرب به وجهه. قال: فقام فوضع نقابه وتقلد قوسه وقال:

أنا ابن جلا [الجلا: الأمر العظيم]

وطلاع الثنايا [الثنية الأرض ترتفع وتغلظ، يريد أنه مشمر ليس صاحب خفض ولا دعة]

متى أضع العمامة تعرفوني،

إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها

كأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى،

ليس بُعشِّكِ فادْرُجي [فَادْرُجي أي امضي .. والمعنى ليس هذا من الأمر الذي لك فيه حق، فدعه، وهو مثل يضرب لمن يتعرض إلى شيء ليس منه]

قد شمرت عن ساقها فشمري [مثل يحض به على الجد في الأمر]،

هذا أوان الشد فاشتدي، قد لفَّهَا [جمعها] *الليلُ* [أي الإبل] *بَسَّاقٍ حُطَمْ* [رجل حطم للذي يأتي على الزاد لشدة أكله، ويقال للنار التي لا تبقي حطمة، هذا مَثَل ضَربَه

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لنفْسهِ ورعيّته فجَعَلَهم بمنزلة ناقة أو إبِلِ لرجُل قَويّ شَديد يَسري وَيُتْعِبُها ولا يَرْكن إلى دَعَة ولا سُكون]

ليس براعي إبل ولا غنم [يعنى أنه عظيم القدر وليس ممن يرعى]

ولا بجزّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ [الوضم: كل ما قطع عليه اللحم، يريد: أنَّه ليس ممّن يُبَاشِر للحّم بيده ويبتذل نفسه]

قد لفها الليل بعَصْلَّبى [أي شديد يقصد نفسه]

أرْوَعَ خَرَّاجٍ من الدَّوىّ [أي الفلاة والمعنى أذكى خراج من كل غماء شديدة]

مهاجر ليس بأعرابي

قد شمرت عن ساقها فشدوا، وجدت الحرب بكم فجدوا، [وإنَّما خصَّهم يومئذ على اللَّحوق بالمُهَلَّب وكان يُقاتِل الأزارِقَة]

والقوس فيها وتْر عُرُدٌّ [شديد]

مثل ذِراع البَكْر أو أشَدُّ [شَبَّه الوتَرَ بِذراع البَعِيرِ في تَوَتُّرِه]

ثم قال إن أمير المؤمنين نكب كنانته بين يديه [كبها]

فعجم عيدانها [يريد أنه اختبر سهامها يقال عجمت العود إذا عضضته بأسنانك]

فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فوجهني إليكم

ألا فوالله لأَعْصِبَنَّكُمْ عَصْبَ السَّلَمة [الشجرة يشدها الرجل بنسعة إذا أراد أن يحيطها حتى لا يشد شوكها فيصيبه، فيضرب مثلا لمن عصبه شر وأمر]

ولأُلْحونكم لَحَو العُودِ [اللحو التقشير، يقال لحوت العصا ولحيتها إذا قشرتها]

ولأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرائِبِ الإبل [وذلك أن الإبل إذا وردت الماء فدخلت فيها غريبة من غيرها ردت عن الماء وضربت حتى تخرج عنها]

ولآخذنَ الوَلِيَّ بالمَوْلى حتى تستقيمَ قناتكم، وحتى يلقى أحدكم أخاه فيقول انج سعد فقد قتل سعيد،

ألا وإياي وهذه السُّقْفاء [الجماعات] والزَّرافات [الشّفعاء]؛

فإني لا آخذ أحدا من الجالسين في زرافة إلا ضربت عنقه [وكانوا يجتمعون إلى السلطان يشفعون في المُرِيب؛ فنهاهم من ذلك]

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** روى ابن الكلابي، عن عوانة بن الحكم قال: سمع الحجاج تكبيرَاً في السوق، وهو في الصلاة، فلما انصرَفَ، صعد المنبر، فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق. قد سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذي يراد به اللّه في الترغيب، ولكنه الذي يراد به الترهيب، إنها عجاجة تحتها قَصف. أي بني اللكيعة، وعبيد العصا، وأولاد الإماء، أَلاَ يربأ الرجل منكم على ظَلْعِه [أي: يسكت على دائه وعيبه]، ويحسن حمل رأسه، وحقن دمه؛ فيبصر موضع قدمه؛ واللّه ما أرى الأمور تنتقل بي وبكم حتى أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها، وتأديباً لما بعدها.

** خرج الحجاج متصيدا لأحوال الرعية، فوقف على أعرابي يرعى إبلا له فقال له: يا أعرابي كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج؟ قال له الأعرابي: غشوم ظلوم لا حياة الله؟ فقال: فلم لا تشكوه إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال: عبد الملك بن مروان فأظلم وأغشم، فأحاط به الجند واعتقلوه وأخبروه أن الذي كان معه هو الحجاج، فقال الأعرابي: يا حجاج السر الذي بيني وبينك أحب أن يكون سرا مكتوما، فضحك الحجاج وأمر بتخلية سبيله .

الحجاج واعظا ومتهورا

** قال سيار أبو الحكم: سمعتُ الحجاج على المنبر يقول: أيها الرجل، وكلُكم ذلك الرجل، رجل خطم نفسه فزمها فقادها بخطامها إلى طاعة اللّه تعالى، وعنجها بزمامها عن معاصي اللّه. [عنج ناقته بزمامها: جذب زمامها لتقف]

** قال مالك بن دينار: سمعت الحجاج يخطب فيقول: امرؤ زود نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره، امرؤ نظر إلى ميزانه، امرؤ عقل عن اللّه أمره، امرؤ أفاق واستفاق، وأبغض المعاصي والنفاق، وكان إلى ما عند اللّه بالأشواق. فما زال يقول ذلك حتى أبكاني.

** روى أنه خطب، فقام إليه رجل فقال له: ما أصفق وجهك، وأقل حياءك، تفعل ما تفعل، ثم تقول هذا؟! فأخذوه، فلما نزل، دعا به فقال له، لقد اجترأت!! فقال: يا حجاج، أنت تجترئ على الله؛ فلا تنكره في نفسك، وأجترئ أنا عليك، فتنكره علي! فخلى سبيله.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** قال شريك، عن عبد الملك بن عمير قال: قال الحجاج يوماً: من كان له بلاء، فليقم، فلنعطه على بلائه، فقام رجل، فقال: أعطني على بلائي، قال: وما بلاؤك؟ قال: قتلت الحسين، قال: وكيف قتلته؟ قال: دسرته بالرمح دسراً، وهبرته بالسيف هبرَاً، وما أشركت معي في قتله أحداً، قال: أما إنك وإياه لن تجتمعا في موضع واحد. وقال له: اخرج.

** عن سفيان بن حسين، قال: سأل الحجاج الجوهريَّ: ما النعمة؟ قال: الأمن، فإني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش، قال: زدني، قال: الصحة، فإني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش، قال: زدني قال: الشباب، فإني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش، قال: زدني قال: الغِنَى، فإني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش، قال: زدني، قال: لا أجد مزيداً.

** وروى صالح بن موسى الطلحي، عن عاصم بن بهدلة؛ أنهم ذكروا الحسين –رضي اللّه عنه– عند الحجاج فقال: لم يكن من ذرية النبي –صلى الله عليه وسلم–، فقال له يحيى بن يعمر: كذبت أيها الأمير، فقال له الحجاج: لتأتيني على ما قلت ببينة من كتاب اللّه تعالى أو لأقتلنك، فقرأ قوله تعالى: {وَمِن ذُرِيَّتِهِ دَاودَ وَسُلَيمانَ وَأَيوُبَ وَيوُسُفَ وَمُوسَى وهارُونَ وكذَلِكَ نَجزي اَلمُحسِنِينَ وَزكرِيَا وَيحيىَ وَعِيسَى} [الأنعام:٨٤ – ٨٥]، ثم قال: أخبرنا الله أن عيسى من ذرية إبراهيم بأمه، فقال الحجاج: صدقت، فما حملك على تكذيبي في مجلسي؟ قال: أخذ اللّه على الأنبياء ليبيننه للناس ولا يكتمونه، قال: فنفاه الحجاج إلى خراسان.

** قال أبو بكر بن عياش: سمعت الحجاج وذكر هذه الآية: {فَاتقوُا اللَّهَ مَا استطَعتم وَاسمَعُوا وَأَطِيعُوا} [التغابن:١٦]، قال: هذه لعبد الله أمين اللّه وخليفته ليس فيها مثنوية، واللّه لو أمرتُ رجلا أن يخرج من باب هذا المسجد فأخذ من غيره لحل لي دمه وماله، والله لو أخذت ربيعة بمضر لكان لي حلالا، يا عجباً من عبد هذيل، يزعم أنه يقرأ قرآناً من عند اللّه ما هو إلا رجز من رجز الأعراب، واللّه لو أدركت عبد هذيل، لضربت عنقه.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

رواها واصل بن عبد الأعلى شيخ مسلم عن أبي بكر، فقال: قاتل اللّه الحجاج، ما أجرأه على اللّه، كيف يقول هذا في العبد الصالح الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود؟! قال أبو بكر بن عياش: ذكرت قوله هذا للأعمش. فقال: قد سمعته منه.

ورواها محمد بن يزيد عن أبي بكر، فزاد قوله: ولا أجد أحداً يقرأ على قراءته إلا ضربتُ عنقه، ولأحكنها من المصحف، ولو بضلع خنزير.

** روى سفيان بن عيينة عن سالم بن أبي حفصة قال لما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال إنه شقي بن كسير فقال ما أنا إلا سعيد بن جبير بذلك سماني أبواي قال لأقتلنك قال إذا أكون كما سماني أبي سعيدا وقال دعوني أصلي ركعتين فقال الحجاج وجهوه إلى قبلة النصارى فقال سعيد فأينما تولوا فثم وجه الله قال فضرب عنقه.

قال سفيان فلم يقتل بعد سعيد بن جبير إلا رجلا واحدا .

** قال الأصمعي: قال عبد الملك بن مروان للحجاج: إنه ليس أحد إلا وهو يعرف عيبه، فَعِب نفسك، فقال الحجاج: أعفني يا أمير المؤمنين، فأبى عليه، فقال: أنا لجوجٌ [لحوح] حقودٌ حسودٌ، فقال عبد الملك: ما في الشيطان أقبحُ مما ذكرت.

** وقال يزيد بن هارون: أنبأنا العوام بن حوشب، حدثنا حبيب بن أبي ثابت، قال: قال علي – كرم الله وجهه – لرجل: لا مت حتى تدرك فتى ثقيف، قيل: يا أمير المؤمنين، ما فتى ثقيف؟ قال: ليقالن له يوم القيامة: اكفنا زاوية من زوايا جَهنمَ، رجل يملك عشرين سنة لا يدع معصية للّه إلا ارتكبها.

** قال أبو عاصم النبيل: حدثني جليس هشام بن أبي عبد اللّه، قال: قال عمر بن عبد العزيز لعنبسة بن سعيد: أخبرنى ببعض ما رأيت من عجائب الحجاج، قال: كنا جلوساً عنده ليلة، فأتى برجل، وكان قد نهى عن المشي بالليل بعد العشاء الأخيرة، فقال: ما أخرجك هذه الساعة، وقد قلت: لا أجد فيها أحداً إلا فعلت به؟! قال: أما واللّه لا أكذب الأمير، أغمي على أمي منذ ثلاث، وكنت عندها، فلما أفاقت الساعة، قالت: يا بني، أعزم عليك إلا رجعت إلى أهلك؛ فإنهم مغمومون بتخلفك عنهم، فخرجت، فأخذني الطائف، فقال الحجاج: ننهاكم وتعصوننا؟! يا غلام، اضرب عنقه، ثم أتى برجل آخر فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: واللّه لا أكذبك، لزمني غريم،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فلما كانت الساعة أغلق الباب وتركني على بابه، فجاءني الطائف فأخذني، فقال: اضربوا عنقه، ثم أتى بآخر، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: كنت مع شَرب أشرب فعربدوا، فخفت على نفسي فخرجْتُ، ففكَر الحجاج ساعة، ثم قال: رجل أحب المسالمة يا عنبسة، ما أراه إلا صادقاً فأخلوا سبيله.

فقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة: فما قلتَ للحجاج شيئاً في ذلك؟ قال عنبسة: لا، فقال عمر لآذنه: لا تأذن لعنبسة إلا أن يكون في حاجة.

** قال مسلم بن إبراهيم: حدثنا الصلت بن دينار، قال: مرض الحجاج فأرجف به أهل الكوفة، فلما عوفي، صعد المنبر، وهو ينثني على أعواده، فقال: يا أهل الشقاق والنفاق والمراق، نفخ الشيطان في مناخركم، فقلتم: ماتَ الحجاج، فمه؟ والله ما أرجو الخير إلا بعد المَوت. وما رضي اللّه الخلود لأحد من خلقه إلا لأهونهم عليه إبليس، وقد قال العبد الصالح سليمان: {رَب اَغفِر لِي وَهَبْ لِي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي}. فكان ذلك، ثم اضمحل، فكأْن لم يكُن. يا أيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل، كأني بكل حي ميت، وبكل رطب يابس، وكل امرئ في ثياب طهور إلى بيت حفرته، فحد له في الأرض خمسة أذرع طولاً في ذراعين عرضاً، فأكلت الدود لحمه، ومصت من صديده ودمه.

** قال محمد بن المنكدر: كان عمر بن عبد العزيز يبغضُ الحجاج، فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت: اللهم اغفر لي؛ فإنهم يزعمون أنك لا تفعل.

** وقال الأصمعي: أَنشَدَ الحجاج لما احتضر:

يَا رَب قَد حَلَفَ الأَعدَاءُ وَاجتَهَدُوا ... بأنَنِي رَجُلٌ مِن سَاكِنِي النارِ

أيحلفُونَ عَلَى عمياءَ؟ وَيحَهُمُ ... ما عِلمُهُم بعظيمِ العَفوِ غَفَّارِ

فأخبر الحسن بذلك، فقال: إن نجا فبهما.

** وروى أن الحسن حين أخبر بموت الحجاج، سجد شكراً للّه.

** وقال ابن سيرين: إني لأرجو للحجاج ما أرجو لأهل لا إله إلا الله، فبلغ قوله الحسن – يعني البصري – فقال: أما واللّه ليخلفن اللّه رجاءه فيه.

** قال ابن خلكان: مات بواسط، وعَفي قبره، وأجرى عليه الماء.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

** قال العلامة الذهبي: وعندي مجلد في أخبار الحجاج فيه عجائب، لكن لا أعرفُ صحتها.

** توفي سنة خمس وتسعين قبل موت الوليد بسنة، ولما حضْرته الوفاة، استخلف على الصلاة ابنه عبد اللّه، وعلى عرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كبشة، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم، وكتب إلى قتيبة بن مسلم الباهلي، وكان قد ولاه على خراسان: قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجِدك وجهادك أعداء المسلمين، وأمير المؤمنين رافعك، وصانع بك الذي تحب. فأتمَّ مغازيك، وانتظر ثواب ربك، ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك، حتى كأني أنظر إلى بلادك والثغر الذي أنت فيه.

** قيل: أصيب الحجاج بمصيبة، وعنده رسول عبد الملك بن مروان، فقال الحجاج: ليت أني قد وجدت إنساناً يخفف عني ما أنا فيه؟ فقال له الرجل الرسول: أقول، أيها الأمير؟ قال له: قل، فقال: كل إنسان يفارقه صاحبه بموت أو بصلب أو يقع من فوق البيت أو يقع عليه البيت أو يغشى عليه أو يكون شيء لا نعرفه. فضحك الحجاج وقال: مصيبتي في أمير المؤمنين أعظم، حيث وجه مثلك رسولا.

** وكان الحجاج مهيباً جداً لجرأته وإقدامه على سفك الدماء واشتداد عضده بمن أقامه أميراً؛ فكان يهابه عماله والخاصة والعامة؛ فمن ذلك ما ذكره في المروج: كتب عبد الملك بن مروان إليه: أنت عندي كسالم، والسلام. فلم يفهم الحجاج مراد عبد الملك بذلك، فكتب إلى قتيبة بن مسلم عامله على خراسان، وبعث كتاب عبد الملك مع الرسول إليه، فلما ورد الرسول عليه، ناوله الكتاب، ففزع، واضطرب قتيبة، فضرط فخجل واستحيا، فقرأ الكتاب، ثم أراد أن يقول للرسول: اقعد، فقال: اضرط، فقال الرسول: قد فعلت، فاستحيا قتيبة حياء أكثَرَ، وقال له: ما أردت أقول لك إلا اقعد، فغلطت، فقال الرسول: قد غلطت أنا وأنت. قال قتيبة: ولا سواء، أغلط من فمي، وتغلط من استك. ثم قال قتيبة: أعلم الأمير أن سالماً كان عبداً لرجل، وكان عنده أثيراً عزيزاً، وكان يسعى به إليه كثيراً؛ فقال: من الطويل:

يُدِيرُونَنِي عَن سَالِمٍ وَأُدِيرُهُمْ ... وَجِلْدَة بَين العينِ والأنفِ سَالِمُ

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فلما آتى الحجاج بالرسالة، سُرَ بذلك، وكتب له به عهدَاً على خراسان بالتأييد.

جمع وترتيب

د/ خالد سعد النجار

alnaggar66@hotmail.com

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com